زكي نجيب محمود

بين

الدين والفلسفة

الدكتور

مبروك عبد العزيز عبد السلام

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا علي الظالمين. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام علي خير خلق الله أشرف النبيين وخاتم المرسلين ورحمة الله تعالي للعالمين وعلي آله وصحبه ومن سار علي دربه واهتدي بهدية إلي يوم الدين.

أما بعد

فلسوء حظ الأجيال الجديدة أنها ابتليت خلال السنوات العشرين الماضية بسيل منهمر من الكتابات المضادة للفكر الإسلامي . الأمر الذي يدفعنا إلي القول بأن أصحاب هذه الكتابات مصابون بطول النظر يرون البعيد ولا يبصرون القريب. وإن هذا البعيد سراب وسيوافيهم الله حسابهم.

قال تعالي: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [١]

ولأن الدين الإسلامي كتب له الحفظ ؛

قال تعالي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٢]

---

[١] سورة النور آية : ٣٩ .

[٢] سورة الحجر آية : ٩ .

فإن الباحثين الإسلاميين في الماضي والحاضر والمستقبل سيدافعون عن الرسالة الخالدة ، وعليه فالهجوم قائم والدفاع رادع وكل جيل من أجيال الأمة الإسلامية يدافع بقدر ما تهمه التحديات وتحفزه علي الرد والردع.

ومن المفارقات المثيرة للأسف أن مصر بلد عامر بالمواهب وأرضها أيضاً مجتمع عامر بالمتناقضات. وقد كان زكي نجيب محمود واحداً من هذه المتناقضات فقد ظل الرجل بعيداً عن الفكر الإسلامي قريباً غاية القرب من الفكر الغربي يتأمل أفكار فلاسفته في رفق وحنو وهمس شفيف ،و لذلك كان نتاجه الفلسفي كثيراً. فالكتابات الفلسفية في حياته كانت مصدراً للرزق والمجد ، والعيب أنه آثر مصدر رزقه علي عقيدته.

كانت عينه دائماً خارج الفكر الإسلامي ينصهر في محنة الفلسفة والمجموع منطوياً علي جراح المفكرين الإسلاميين.

وبالرغم من أن زكي نجيب محمود من الأسماء اللامعة في الفكر الفلسفي إلا أنه ليس من النجوم الزاهرة في الفكر الإسلامي .

من هنا كانت أهمية العبارة الموجزة التي جاءت عنواناً لهذا البحث:

(مشكلة الفكر والعقيدة)

(زكي نجيب محمود بين الدين والفلسفة).

والقضية برمتها ليست مسألة فكر فلسفي وإنما القضية هي الأخطاء والأخطـــار التي ترتبت علي هذه القضية في فلسفة الرجل.

وكاتب السطور لم يغفل التصور الحقيقي لفلاسفة الغرب وفلسفة زكـــي نجيـــب محمود في القضية وسيعلم القارئ بعد أن يلقي عصا التسيار من مشـــاق هـــذه الرحلة الطويلة – التي استغرق البحث فيها أكثر من عام لم أنم فيه ليلة بتمامها ولا عملت في النهار بغير المعرفة – أن هناك علمانيـــة مســـتبدة فـــي مقابـــل إسلاميين مستنيرين.

هذا وقد جاء البحث بعون الله وتوفيقه في مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة.

الفصل الأول: جاء بعنوان " منهج الرجل الفكرى "

تناولت فيه المنهج العلمى الذى سار عليه الرجل . مركزاً حديثى حـــول تطـــور منهجه . موضحاً أن هذا التطور مر بمراحل كان أهمها أن الرجل تمثل الفكـــر الغربى بل وتنفسه فى حياته الفكرية شهيقاً وزفيراً . وبعد أن تجول فـــى الفكـــر الغربى مضى إلى بحث أهم ما يتميز به الفكر الإسلامى علـــى مـــدار عقـــوده المتواليات حتى استغلظ واستوى على سوقه .

أما الفصل الثاني : فيدور الحديث فيه حول :

"الوضعية المنطقية".

سلطتُ الأضواء فيه علي نشأة الوضعية المنطقية ، ومفهوم الوضعية المنطقية في فلسفة الرجل- زكي نجيب محمود-

وأسس الوضعية المنطقية وأخطارها عند الرجل.

وفي الفصل الثالث : الذي عنوانه " نسبية القيم الأخلاقية في فلسفة زكي نجيب محمود " : تعرضتُ لمفهوم الأخلاق ، ومعنى القول بنسبية الأخلاق عند الرجل- الأستاذ الدكتور/ زكي نجيب محمود ، وخطورة القضية علي الفكر الإسلامي. ومن القول بنسبية الأخلاق عند الرجل جرت رياح الحديث إلي " الوضعية المنطقية بين أنصارها وخصومها "

كل ما قدمتُ تحت هذا العنوان لم يكن دفاعاً عن أحد ، ولا هجوماً علي أحد وإنما قصدت إلي هدف واحد هو أن يكون الباحثون علي علم بالنقود الموجهة إلي الوضعية المنطقية عند الرجل- الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود!.

أما الخاتمة : فقد تعرضت فيها للازدواجيات الفكرية التي اكتنفت حياة الرجل - الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود- وصببتُ الضوء علي المقابلة بين ما عساه ناقله عن الغرب وعقيدته. والموضوعية الخالصة التي تحدث بها الرجل- زكي نجيب محمود – في أخريات حياته. والوحدة الفكرية التي انتهى إليها.

والبحث يقدم لنا صورة حقيقية دقيقة للأوضاع الفكرية عند الرجل – زكي نجيب محمود– في إحدى اللحظات التاريخية الحرجة.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [1]

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

[1] سورة الأنبياء الآيات ١٥٠ : ١٠٨ .

منهجنا في البحث

وقد اعتمدتُ في دراستي علي أكثر من منهج

١.المنهج التاريخي:- الذي يقوم علي التعرض لجذور الفكر الإسلامي والفلسفي

٢.المنهج التحليلي:- الذي يهدف إلي تحليل الفكر الإسلامي والفلسفي .

٣.المنهج التعليلي:- الذي يهدف إلي التعليل بعد التحليل.

٤.المنهج المقارن:- إذ عمدت إلي مقارنة الفكر الفلسفي بالفكر الإسلامي في مواطن كثيرة من البحث.

٥.المنهج النقدي:-الذي يقوم علي نقد الفكر المخالف لمنطق العقل والنصوص الشرعية.

٦.المنهج الاستنباطي:- الذي يعتمد علي استنباط النتائج من المقدمات.

الفصل الأول

منهج زكى نجيب محمود الفكرى

حاول مفكرنا- زكي نجيب محمود- في ظل ما فهمه من العلم الجديد أن يأخذ بيد الثقافة العربية وأن يسمو بالفكر من خلال المعرفة وأن يطور المجتمع بالعلم وقبل الولوج في تفاصيل منهج الرجل العلمي للكشف عن أفكاره وآفاقه ، وآماله في الرقي بالثقافة العربية يجب أن نلفت الأنظار إلي أن مذكرات الرجل التي كتبها بيده ليست تاريخاً بل هي إحدى مواد التاريخ. ليست تاريخاً حتى للشخص الذي كتبها ، وإنما هي زاويته في رؤية ذلك التاريخ الفكري وأسلوبه في التعامل مع اللحظة التي يؤرخ لها " وحصاد السنين ، وقصة عقل ، وقصة نفس" ليسوا استثناءً من هذه القاعدة.

وليس معني ذلك أن الرجل قد ضل في تفسيراته لتاريخه الفكري وإنما هو التاريخ من منظوره هو. وحياة الرجل تسمح لنا بأن نري جيداً النقطة الرئيسية التي أهتم بها في حياته الثقافية { وهنا يروي لنا الرجل عن نفسه إنه قد مال بكل عقله وقلبه نحو فكرة التقدم ..... والتطور " [1]

ويجب علينا أن نتعرف علي معني التقدم ، والتطور عند الرجل وذلك بسبب تشابه اللفظين لكن بينهما اختلاف عنده. فالتقدم لابد فيه من " اعتقاد راسخ بأن

---

[1] زكي نجيب محمود : حصاد السنين صـ ٧

الحاضر قد هضم الماضي ثم أضاف جديداً تلو جديد مما أنتجته السنون "[١] والتطور هو " الذي ينقل صورة الحياة نحو ما هو أعلي ، ومعني ذلك وجوب الاهتمام بالمصير ولا ينفي ذلك الاهتمام أن تجئ قوائمه مستندة إلي تراثنا الذي تركه لنا السلف علي ألا يكون في حياتنا الحاضرة بمثابة النهاية التي نقف عندها، بل يكون بين أيدينا نقطة ابتداء نجاوزها إلي مستلزمات حاضر حي ومستقبل مأمول "[٢].

لكن أيا كان مصدر التحول أو شرط صورته المنطقية – تقدم وتطور – فإن من حسن التوفيق أن أقول – وأنا متأكد من قولي إن المعارف الغربية كانت عند الرجل هي الهدف الأسمى وما سواها تافه خاصة في حقبة الثلاثينيات " منذ بدأ نشاطه العقلي "١٩٣٠" بصورة جادة "[٣].

أقول ذلك وبين أيدينا سيرة الرجل الفكرية التي يمكن اعتبارها نموذجاً لرعايته القصوى للفكر الغربي نختار منها إما كتبه ذات مرة خلال الثلاثينيات ، تحت عنوان " بين المعجزة والعلم " وذلك أنه كان قد قرأ في فلسفة " اسبينوزا " ما أقنعه بأن قدرة الخالق"جل وعلا" إنما تتمثل في أن تطرد قوانين الكون اطرادا لا

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ٧ .

[٢] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ٢٢ .

[٣] السابق نفسه .

يقف في سبيله شيء ، وليست قدرته في أن يوقف الشمس كما يقول رواة المعجزات أنها وقفت ليوشع ، أو أن يشق البحر كما هو ثابت في القرآن الكريم بأنه انشق لموسى ولا أن يبرئ الأكمة والأبرص بلمسة كما جاء في القرآن الكريم عن عيسي " عليهم جميعاً السلام " وكان صاحبنا عندئذ يري أنه لابد من تأويل هذه المعجزات تأويلاً يبقي علي الإيمان بما ورد في الكتب المنزلة ويتفق في – الوقت نفسه– مع ما يتفق ومنطق العقل . إن صاحبنا كان قد اقتنع بأن قدرة الله "سبحانه وتعالي" إنما تتجلى في اطراد قوانين الكون لا في إيقافها [١] ولا عجب أن ضل منطق الرجل وزاغ بصره فيما اعتسف من تأويل معجزات المرسلين "عليهم جميعاً السلام" تأويلات يجفوها المنطق الفطري وينبو عنها حس العربية لغة النص وتنفيها النصوص الشرعية نفياً جازماً.

ويبقي السؤال البدهي : لماذا أختار الرجل الفكر الغربي ورأي أن الشروق من الغرب ؟

الجواب عن هذا السؤال ظل عاجزاً عن تبرير التقوقع في فكر الغرب ، ولكننا نري أن المد الغربي المتعاظم في فكر الرجل خلال العقدين الأولين من حياته الفكرية – فى الثلاثينيات والأربعينيات – يرجع إلي استقطاب تنظيمي واضح

---

[١] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ٢٢ .

يقوده رواد الفكر في الغرب يتضح ذلك حين " سافر الرجل في بعثة دراسية للحصول علي الدكتوراه في الفلسفة ، ولقد تحقق له ذلك والحرب العالمية الثانية ملتهبة السعير " [١] فقد رأي في أساتذته أنهم بلغوا حداً من الموضوعية لم يكن ليتوفر لسواهم في الشرق ، وأنهم بفضل تفكيرهم الشخصي وذكائهم الحاد كشفوا له عن نقاط الضعف في فكره ، وأنهم لم يقفوا عند حد الألفاظ بل وصلوا إلي لب الأشياء. يتضح ذلك من خلال امتحانهم للمبادئ التي خرج منها بحث الرجل وتعليمهم إياه كيفية غربلة وامتحان المبادئ التي يستند عليها البحث العلمي لتكون نتائجه صحيحة ، ويعلن الرجل قبوله لهذا المنهج العلمي في التفكير – التحليل والتعليل – ويصبح همه الأول والأخير ، ويجد أمامه فرصة لتصحيح فكره علي يد أساتذة الغرب، وسندنا المنطقي فيما ذهبنا إليه هو هذه القضية التي ذكرها الرجل لمشرفه، والتي وجدت فيها بعض التفسيرات التي جعلت الرجل في كتاباته يتبع الفكر الغربي حذو النعل بالنعل، والقضية كما يرويها الرجل { حوار بين الأستاذ وطالبه – زكي نجيب محمود – يقرر – بغير برهان – بأن الإنسان وحده دون سائر الحيوان هو القادر علي توليد المعاني استدلالاً لبعضها من بعض ؟ فأعترضه الأستاذ

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ٨ .

قائلاً : من أين لك بهذا الحـــكم ؟ وأجاب الطالب قائلاً : كان ديكارت وكلبـــه ناظرين إلي المدفأة ، وهي اللحظة التأملية الديكارتية المعروفة ، التي أشـــرقت فيها علي ديكارت فكرة الشك المنهجي ، الذي يدعوه إلي إعادة النظر في كل ما يعرفه ، ليبحث أولاً عن مبدأ أولي يجئ الشك فيه مناقضاً لنفسه ، فيؤخذ مثـــل هذا المبدأ اليقيني أساساً يقام عليه البناء المعرفي كله ، خطوة مستولدة من خطوة ، فهل كان مثل هذا التأمل وما نتج عنه ، في مقدور كلبه الذي أقعـــى بجـــواره ينظر إلي المدفأة ؟

هكذا أجاب الطالب أستاذه إجابة جاءت تحمل بدورها سؤالاً ؟ فقال له الأستاذ: أنا لا أملك حق الإجابة علي سؤال كهذا، لأني لم أكن قط كلباً لأخبـــر بخبـــرة مباشرة ماذا في مقدور الكلب ، وماذا يجاوز ذلك المقدور.

من هنا تعلمت كيف أرد الأفكار إلي أصولها محاولاً ألا أنخدع فأظن أصولاً ما ليس بأصول بل هي فروع تفرعت عن أصل لها، ولن تفهم حـــق الفهـــم إلا إذا تعقبناها إلي منابعها الأولى " [1]

وانحياز الرجل للفكر الغربي في الأربعينات وما قبلها يمكن استخلاصه بصبر وأناة من محاولة إجابته عن { السؤال الحقيقي : ماذا وراء ضعفنا ؟ ما الســـر

---

[1] زكى نجيب محمود : بذور وجذور ص ١٥ ، صورة مصغرة مقالـــة بجريـــدة الأهـــرام المصرية .

في تقدمهم وتخلفنا ؟ فليست المشكلة في صميمها هي أن عندهم كذا وكذا من نتائج العلم والفن ، وليس عندنا مثل ما عندهم ، لأنه لو كانت هذه المشكلة في جوهرها ، إذن لكان حلها هو أن ننقل ما عندهم ليصبح عندنا وكان الله يحب المحسنين ، لا ، ليست هذه هي المسالة المؤرقة ، بل إنها هي ما وراء إبداعهم وقوتهم ، فلما أختفي هذا " الماوراء " من حياتنا نحن ، ذهب عنا الإبداع والقوة " [١] .

وعشق الرجل الجارف للغرب يتضح من إشارة صريحة إلي أن المستقبل لا يمكن أن يكون مع الشرق . وفي هذا المعني يقول : { فإذا شاء العربي أن يعاصر زمانه ، فلا مندوحة له عن العلم ، ثم العلم ، ثم لا ثم بعد العلم ، وإنما عنيت العلم بمعناه الطبيعي ، لا بالمعني الذي يتصوره بعضنا " حفاظاً " لما ورد في صحائف الأقدمين فلن تزداد عصرية لو رويت عن ظهر قلب ألف ألف بيت من الشعر ، لكنك تزداد عصرية لو شاركت في العلم بالإلكترون وفي تسييره لخدمة الإنسان " [٢]

والرجل يركز علي الثقوب التي أحدثها نظامنا التعليمي ويري أن خط سيرنا الفكري متعرج ومرير ويجب أن يتحول من التخلف إلي التقدم ، ومع إيمان

---

[١] زكى نجيب محمود :قصة عقل ص ٢٢٤ .

[٢] المرجع السابق ص ٢٣٣ .

الرجل بالفكر الغربي الذي دعمه بأقصى ما يملك من عقلانية نراه ينكر لغتنا الجميلة التي هي أساس المعرفة بالدين الإسلامي ، ونسي الرجل أو تناسي أن التقدم يأخذ بيد جميع الجوانب الفكرية.

وليس من شك أن هذه الخطوة الأولية في فكر الرجل تهدينا فكراً غربياً ناقصاً لا نطمئن إلي مصداقيته وقربه من الحقائق المنطقية لأنه يري أنه إما علم وإما لغة مع العلم بأن الغرب برز في الجانبين فله علماؤه وأدباؤه ، ومع الإعتراف بأن فكر الرجل لا يسهم في بناء المستقبل بناءً سليماً فإن ما آل إليه فكره من ضعف تحولت خلاله ثقوب المصفاة – منهج التحليل والتعليل – إلي تمزقات واسعة . فقد اجتاحت التيارات الغربية الحمي الأصيل للرجل لا تصدها حواجز أو سدود وازدادت أزمته حدة وتعقيداً واهتزت موازينه الفكرية واختلطت مفاهيمه وضلت مقاييسه وتمزق فكره ومضي طرائق قددا ، ومضت حقبة الأربعينيات ، ومضي عهدها لكن بعد أن خلفنا الرجل فيها كتابات المسخ والتشويه – خرافة الميتافيزيقيا، ونسبية الأخلاق قال تعالي : ﴿ **وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [1]

---

[1] سورة آل عمران من آية ١٤٤ .

وأقول بشذوذ ظاهرة الإغتراب عند الرجل وفقدان الهوية لأنه لم يتلق في طور التكوين العقلي والنشأة والتلقي الفكر الإسلامي . فشق عليه في مرحلة الرشد زاده الإسلامي وأمضي مرحلة حضانته العقلية والتكوين الفكري في بيئة عزلته عن فكره الإسلامي ، ودخل الميدان الثقافي وهو يحمل رضي أو كره ميراث يسير في إتجاه لا يملك أن يحيد عنه لأنه في ماضي المفكر سر أفكاره الحاضرة . ولأن الفكر الإسلامي أعلي وأقوي من أي فكر بشري فقد أدلي علماء الإسلام بدلوهم في هذا المعترك الصاخب ونثروا ماء الورد والزهر علي نار أشعلها الرجل في هذه الحقبة التي كانت نفسه فيها { أمارة ..... لأنه يندفع مع وجدانه – حبه لأساتذة الغرب – ولا يبالي " [1]

وصل الأمر في نهاية حقبة الأربعينيات إلي اتهامات خطيرة في مقدمتها تكفير المقولة – خرافة الميتافيزيقا – وفي نهايتها تكفير القائل ، والرجل يعترف بأن " الثلاثينيات – وما بعدها بقليل – مرحلة لم يشهد الشاب مثلها في حياته لا من قبل ولا من بعد ، من حيث تضارب الميول والاتجاهات العقلية " [2] وسار الرجل علي الدرب الوعر يكد نفسه وذهنه ووجدانه في فكر الغرب " وجاءت سنوات الخمسينات ... وفي ذهنه تصور واضح لما ينبغي أن يدعو إليه في دنيا

---

[1] زكي نجيب محمود : قصة نفس ص ٢٥١ .

[2] زكي نجيب محمود : قصة عقل ص ١٧ .

الثقافة بصفة عامة " [١] .

وكان الاختيار والسياق والتركيز علي فكر الغرب الذي يجب المضي فيه لأنه هو الحاضر والمستقبل ، وهو أيضاً الذي أحال فكر الشرق إلي التقاعد قبل الأوان ولكن السؤال المهم : كيف كان ذلك ؟

والجواب : " بكتابين : أولهما كتاب " شروق من الغرب " وأسمه هذا دال علي روح محتواه ، والثاني : كتاب أسماه " الكوميديا الأرضية " وجاء هذا العنوان أكثر دلاله علي روح مضمونه الفكري " [٢] .

ولا شك أن تقدم الغرب في العلوم الطبيعية يمنحنا صورة صادقة تفسر لنا إلي حد كبير سر اعتناق الرجل للفكر الغربي " وليست المسألة هنا هي مجرد المظهر والشكل ، بل إن تغيراً جوهرياً في طبيعة العلم ذاته قد حدث فميز العلم الطبيعي المعاصر عن سلفه منذ بدأ تاريخ البشر حتى هذا القرن العشرين ، وذلك لأن أجهزة البحث العملي تزداد مع الأيام دقة " [٣] .

ولقد كانت جذور الفكر الإسلامي غائرة في فكر الرجل آبان الخمسينيات التي

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ١١ .

[٢] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ١٦١ .

[٣] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ١٣ .

ولد فيها عالم غربي جديد بل ربما كانت هذه الجذور كامنة في فكره لكن احتمالات المستقبل ووعوده أجبرته علي الاعتراف بأن إخفاق نهضتنا العلمية ليس حتمياً لأي إخفاق أو أمل جديد ، ووقع الرجل بين شد المحافظة وجذب المعاصرة { ولم يكن قد بقي من أعوام الستينيات إلا عامان حين تلقي الكاتب دعوة من جامعة الكويت أن يكون أستاذا للفلسفة " [١] . وهي الفترة الحاسمة في تاريخ الرجل الفكري من مقدماتها إلي نتائجها . فقد عكف علي فهم حقيقة الفكر الإسلامي الذي يوجب طلب العلم وهنا { أخذ يجمع النصوص التي يراها دالة علي روح الثقافة العربية إبان ازدهار العقل العربي وأصالة مبدعاته بعد ظهور الإسلام ، وبهذا النشاط الذي لم يفتر ، حقق الكاتب ما أراد تحقيقه لنفسه ، وهو أن ترتسم له لوحة متماسكة لسيرة الثقافة العربية . بعد أن كانت حصيلته الغريزية من تلك الثقافة ، مفرقة في أشتات " [٢] .

وليس الانصراف عن التعصب للغرب يمثل تراجعاً أو نكوصاً إلي الوراء، وإنما هو التنوير في أسمي صوره وكانت فترة السبعينيات منزهة عن الدعاية للغرب وإنما غايتها الكبرى هي المعرفة ، وكانت حيثيات الرجل في كتاباته { منذ عام السبعين ، أخذ يشرح ما يراه من الصيغة المطلوبة ، التي

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ١٥ .

[٢] المرجع السابق ص ١٦ .

نضفر فيها خيطين معاً ، أولهما : الجانب الذي استبقناه من ثقافة أصيلة زرعت في أرضنا العربية وأثمرت ، وثانيهما : جانب متصل بالعلوم في صورتها الجديدة ، والمنهج التقني المميز لهذا العصر ..... ومن الجانبين : ما هو أصيل أنتجناه نحن علي امتداد تاريخنا ، وما هو مجلوب من بناة الحضارة الجديدة ، تتألف الصيغة الثقافية الجديدة للوطن العربي " [1] .

ولأن الأمور تقيم بالجذور لا بالقشور فإن الرجل قاوم تطرفه الفكري وتجنب مرارة التجاذب والتمزق والتطرف والاغتراب وكان في فترة الثمانينات والتسعينيات معبراً عن رحابة العقل العربي وضرورة التمسك بالدين الإسلامي لأن المعاصرة معناها موضوعية التفكير عالمية الرؤية رحابة الأفق بصر وبصيرة ، وكان تركيز الرجل علي العلم بمعناه المطلق ديناً ودنيا ، وموقف الرجل معلن في كتاباته { فبين كيف أن تاريخ الثقافات يدلنا بما تركه لنا الأقدمون كيف غلبت النظرة العلمية علي اليونان – والغرب كله بعده – وغلبت النزعة الصوفية علي الشرق الأقصى. وأما الثقافة العربية فقد كان لها القدرة علي أن تضم أولئك وهؤلاء في بناء متكامل ، ففيها النظر العلمي إلي أعلي ذراه ، وفيها الوجدان الصوفي إلي أعمق أغواره، فكانت هذه الثقافة العربية بجناحيها

---

[1] زكي نجيب محمود : حصاد السنين ص ١٨ .

وقفة ثالثة جمعت في بنيانها بين الحسنيين " [١] .

وقد دارت محاورات عقلية خصبة حول هذا المعني الهام . وقد اختصت جريدة الأهرام المصرية بمقالات الرجل فقد حدث أن " جاءته دعوة كريمة من جريدة الأهرام ليكون عضواً في أسرتها الأدبية ، فرحب بالدعوة أيما ترحيب ، لأنها تحقق له منبراً هو أعلي المنابر المعروفة في الشرق العربي كله ، ومن هذا المنبر أخذ الكاتب خلال أعوام السبعينات والثمانينات ، يكتب ويكتب ثم يكتب ، ليلقي الأضواء علي جوانب الصيغة الثقافية المرجوة للمواطن العربي ، والتي هي بكل بساطة ووضوح أن يكون عربياً وأن يكون في الوقت نفسه قادراً علي مواجهة عصر علمي تقني بلغ به الطموح حداً يحاول به اختراق الفضاء الكوني حتى لقد جاوز في هذا السبيل حدود المجموعة الشمسية بكل كواكبها وأفلاكها ..... إلي أين علم ذلك عند علام الغيوب " [٢] .

ويجب الاعتراف بأهمية هذه المقالات فهي علي صعيد الإبداع الفكري تتجاوز فكرة التجديد التي عرفناها في القرون السابقة ، وكان من الطبيعي أن تعيد جريدة الأهرام المصرية طبع هذه المقالات في التسعينات لتجدد حواراً نقدياً خصباً طال غيابه علي أن الموضوعية أو حدودها الدنيا تدفعنا للقول بأن حياة الرجل الفكرية

---

[١] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ٢٣٠ .

[٢] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ١٨ ، ١٩ .

لا تخلو من السلبيات لكننا لا نعرض عن فكره التنويري ، ولا نحط من قـدره ، ولا ننكر فضله ، ولا ننفي أصالته ، ولا نهاجم أنصاره ، ولا نسئ فهمه . لكننا نتناول من بين ما كتب وهو كثير حتى { بلغت صفحاته التي أخرجها ما يقـرب من عشرين ألف صفحة ، فيها ما هو علم أكاديمي اقتضته الحياة الجامعية ، وما هو أدب خالص اقتضته طبيعته التي تميل إليه ..... وقد بلغـت كتبـه نحـو خمسين كتاباً " [١] .

قوبلت في جلها بالاستحسان وبكل تأكيد في حاضرها وفي المستقبل البعيـد . لكن الذي لم يقابل بالترحيب ، وكان أكثر كتبه خطراً وأسوأ ما كتب الرجـل- خرافة الميتافيزيقا-وبعض فقرات من كتبه يتحدث فيها عن – نسبية الأخلاق – ونحن لا نستحضر هذه القضايا في بحثنا للتحسر عما فات كاتبها ، وإنما لنقدها لتستنير العقول في رؤية مواقع فكرنا وهو يخطو نحو الغد.

ومع نبل مقصدنا وطيب نوايانا ، وصدق بذلنا . نقدم أخطر المساوئ الفكريـة للرجل . جاعلين من وحي الله نقطة انطلاق ونهاية مطاف لفكرنا ، ولعل أشـق وأعسر مهمة ستكون الحكم علي فكر رجل كان ينشد النهضة والتقدم لبلادنـا " بعطاء دام أكثر من ستين عاماً " [٢] . وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ٥ ، ٦ .

[٢] بدأ التفكير والتعبير سنة ١٩٣٠ م ورحل زكى نجيب محمود رحمه الله سنة ١٩٩٣ م .

الفصل الثانى

الوضعية المنطقية

ظهرت الوضعية المنطقية علي مسرح الفكر الفلسفي من خلال سؤال ينطـــوي علي نزعة واقعية من شأنها تطويع لغة الكتابة للتعبير عن الأفكـــار ، ولتحديـــد موقف الرجل من هذه القضية. يجب أن نعرض الآتي:-

أولاً:- نشأة الوضعية المنطقية.

ثانياً:- مفهوم الوضعية المنطقية عند الرجل.

ثالثاً:- التعرف علي الدواعي والأسباب التي جعلته يتبناها دون غيرها من الفلسفات الأخرى.

رابعاً:- التعرف علي أهم أسس الوضعية المنطقيـــة عنـــد الرجـــل، والنتـــائج والأخطار المترتبة علي التزامه بتلك الأســـس.

نشأة الوضعية المنطقية

ليس من شك في أن الوضعية المنطقية من أهم الأفكار التي ظهرت في منتصف القرن الأول من القرن التاسع عشر. نضجت واكتسبت اسم فلســـفة علـــي يـــد " الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي- اوجست كونت- سنة ١٧٩٨م إلـــي١٨٥٧م- الذي أراد أن ينبه العلماء إلي التطور الهام الذي يحدث في مسار العلم حين ينتقل التفكير من المرحلة اللاهوتية إلي مرحلـــة الميتافيزيقيـــا ثـــم أخيـــراً لمرحلـــة الوضعية " [١] } .

وقد تبين فيما بعد أن الوضعية المنطقية حركة فلسفية { نشأت في العشرينات من

---

[١] الموسوعة الفلسفية العربية جـــ ٢ مادة الوضعية ص ١٥٥٢ .

هذا القرن في "فيينا"، وكانت تضم مجموعة من علماء الفيزياء والرياضة حزقوا في مجال الفلسفة ودراسة الكون والإنسان وانصب كل اهتمامها في مجال التفكير العلمي، وهي تقوم علي دعامتين:

الأولي:- العلم الحديث الثانية:- المنطق الرياضي

والمنطق الرياضي هم واضعوه لأنهم يقصرون جهودهم علي ما هو موضوع في الواقع الحسي الخارجي وهم مناطقة ، لأنهم ينظرون إلي هذا الموضوع في الواقع الحسي من خلال منظور المنطق " [١] . وقد أطلق علي الوضعية المنطقية قبل ذلك الكثير من الأسماء مثل " التجريبية المنطقية "و" التجريبية العلمية "و"جماعة فيينا" وأخيراً " لوضعية المنطقية الحديثة " وكل ذلك يدور في فلك واحد ويتفقون علي مجموعة من الأسس تتمثل في أن تكون الفلسفة تحليلية وأن تكون علمية. تقسم القضايا إلي تحليلية وتركيبية. واعتبار الميتافيزيقيا لغواً. ومن أشهر أعلامها موريس شيليك ، وأرنست ماخ ، وبرتراند رسل الذي يعد أحد مؤسسي الاتجاه التحليلي المستعمل لدي أغلب الوضعيين المناطقة وغيرهم [٢] .

---

[١] أندريه كريسون : تيارات الفكر الفلسفى فى القرون الوسطى حتى العصر الحديث ص ٣١٨ .

[٢] المرجع السابق ص ٣١٨ .

مفهوم الوضعية المنطقية

في فلسفة زكي نجيب محمود

ألقت تلك القضية الضخمة بثقلها بين يدي الرجل وقبل أن تتشعب بادر الرجل بتحديد مفهوم الوضعية المنطقية لديه واستعمل منهجه المعروف به وهو منهج التحليل والتعليل في تعريفه لهذه الوضعية. فذكر { أن كلمة " وضعية " تشترط في صحة كل عبارة تشير إلي عالم الأشياء قدرة تلك العبارة علي تقديم ما يمكن التحقق منه بواسطة الحواس [١] .

أما عن المقصود بكلمة المنطقية { فلأنها تقوم بتحليل البناء اللفظي واحتكاماً إلي منطق اللغة ودلالتها يمكن الحكم علي العبارة المعينة إن كانت أساساً مقبولة لكونها ذات معني يستحق البحث ، أو مرفوضة لكونها غير ذات معني [٢] .

من هذا يتبين – كما يري الرجل – أن الوضعية المنطقية ليست مذهباً بقدر ما هي منهج للنظر العلمي يرسم للباحث خطواته التي تضمن له السير علي أرض صلبة ، وذلك يتم عن طريق تقنه في اللغة التي يستعملها لنقل أفكاره ، وبالتالي يحدد متى تكون اللغة منطقية البناء ، ومتى لا تكون كذلك ويعبر عن ذلك بقوله " ماذا يقول هذا المذهب – أو بتعبير أدق– هذا المنهج ليس مذهباً ذا فلسفة

---

[١] الموسوعة الفلسفية العربية جـ ٢ مادة وضعية ١٥٥٢ .

[٢] زكى نجيب محمود : وجهة نظر ص ٢٣ .

إيجابية بقدر ما هو طريقة للنظر بالنسبة إلي كل ما تُستخدم فيه اللغة والرمـــوز الأخرى [١] .

وإذا كان الرجل قد ميز بين مفهومين الوضعية – مذهباً–والوضعية المنطقيـــة – منهجاً– فإنه { يستخدم تعبيري الوضعية المنطقية والتجريبية العلمية أحدهما محل الآخر " [٢] .

ليشير إلي هذا الاتجاه الذي يصب اهتمامه علي { مجال التفكير العلمـــي دون سواه كالجانب الديني والفن والشعر وسائر ألوان الإبداع ، غير أنه يعود ليفـــرق بين الاتجاه الوضعي المنطقي والاتجاه التحليلي الذي ظهر عند " مور" ، و"رسل" ويري أن الاتجاهين يكملان بعضهما بعضا ، لكنهما لا يصلان إلي حد التطابق، علي الرغم من اتفاقهما في بعض النقاط مثل الدعوة إلي تحطيم البناءات الفلسفية التي شغف بإقامتها الفلاسفة السابقون [٣] .

ولنا أن نقول إن فلسفة التحليل ترجع إلى "إدوارد جورج مور" ســـنة ١٨٧٣م إلى سنة ١٩٥٨م حيث كتب مقالة لتفنيد المثالية عام ١٩٠٣م وعاونـــه فى ذلك " رســـل"،و"فتجستين" غـــير أن تحـــليل"مـــور"كـــان منصبـــاً علـــى اللغـــة

---

[١] زكى نجيب محمود : وجهة نظر ص ٢٣ : ٢٤ .

[٢] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ٢٩٤ .

[٣] زكى نجيب محمود : فسلفة وفن ص ٢٤٨ .

وتحليل " رسل " منصباً على المنطق . أما تحليل "فتجستين" فقد انصب على منطق اللغة . ومن هنا أصبحت مهمة الفلسفة عند رواد هذه المدرسة هو التحليل المنطقى للمدركات والقضايا العلمية . فهى تهدف إلى التوضيح لا إلى إضافة معرفة جديدة وترى أن الهدف من الفلسفة هو أن توضح ما يقرره العلم عن طريق التحليل .

هذا عن مفهوم الوضعية المنطقية عند فلاسفة الغرب .

أما عن الأسباب التي جعلت الرجل يتبنى آراءها ويدافع عنها فيتضح من قوله هذا لما كان الوضعي بصفة عامة والوضعي المنطقي الجديد بصفة خاصة هو " أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمية كما يفهمه العلماء الذين "يخلقون " [١] لنا أسباب الحضارة في معاملهم، فقد أخذتُ به أخذ الواثق بصدق دعواه، وطفقتُ أنظر بمنظاره إلي شتى الدراسات، فأمحو منها - لنفسي- ما تقتضيني مبادئ المذهب أن أمحوه " [٢].

وهنا يعلن الرجل التزامه بالوضعية المنطقية ومناصرته لآرائها وذلك لأنه مؤمن بالعلم الذي وجده قد تحقق في الاتجاه الوضعي المنطقي ، وقد أشار إلي

---

[١] لعل الرجل أراد " يخترعون " لنا أسباب الحضارة لأن كلمة خلق خاصة بالبارى جل وعلا

[٢] زكى نجيب محمود : المنطق الام الوضعى جـ ١ ص م .

ذلك الدكتور إبراهيم فتحي ، إذ يرى أن { ما من دراسة فلسفية رفضت الأيديولوجيات جميعاً كما رفضتها الوضعية المنطقية.

ويكرر الرجل هذا الرفض في كتاباته " [١] ضائقاً باليمين واليسار والوسط جميعاً وهو يؤكد أن { المنهج العلمي الوضعي يقوم علي مبادئ متحررة من السياسة والأخلاق واضعة العلم بكل ما ترتبط به الكلمة من دواعي القبول في مواجهة الأيديولوجية دون تفرقة بين أيديولوجية وأخرى " [٢].

ومن الأسباب التي دفعت الرجل إلي اعتناق أراء الوضعية المنطقية أنه رأى فيها الضابط لما تفشي في مجتمعنا من استهتار عجيب في التفكير وطرق التعبير عنه. فقد اعتادت الألسنة والأقلام أن ترسل القول إرسالا غير مسئول دون أن يطوف ببال المتكلم أو الكاتب أدني شعور بأنه مطالب أمام نفسه وأمام الناس بأن يجعل لقوله سنداً من الواقع الذي تراه الأبصار وتمسه الأيدي لذا فقد حمل"مبضع" تحليله الفلسفي في مواجهة تلك الخرافات التي كانت تسيطر علي الحياة العقلية ويعبر عن ذلك بقوله { ولم يبد لي الأمر مقصوراً علي مزاج شخصي يتفق وذلك الموقف الفلسفي الجديد كأنما هو ثوب فصل علي طبيعة تفكيري تفصيلاً جعل الرداء علي قد المرتدي بل أنني شعرت

---

[١] زكى نجيب محمود : فى حياتنا العقلية ص ٨٨ .

[٢] عاطف العراقى : نقد العقل الوضعى ص ١٩ .

في اللحظة نفسها بأنه إذا كانت الثقافة العربية بحاجة إلي ضوابط تصلح لها طريق السير فتلك الضوابط تكمن هاهنا " [١] . فالرجل قد رأى أن الوضعية المنطقية بمنهجها التحليلي سوف تساعده في إحداث الثورة الفكرية تلك الثورة التي تتناول المنوال الفكري القديم من أساسه ، وتعمل علي استحداث منطق جديد أهم معطياته أن تكون الخبرة المباشرة "عقلية كانت أو حسية" هي نقطة الابتداء ولا تكون نقطة الابتداء نصوصاً محفوظة في الكتب وفي العرف والتقاليد وسوف يتضح فيما بعد كيف طبق مُفكرنا المنهج التحليلي في نقد الواقع العربي المعاصر وتحليل الحياة الثقافية من أجل -الوعي بالثقافة - وذلك من خلال وجهة نظر نقدية.

---

[١] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ٩٢ .

أسس الوضعية المنطقية

أما عن أسس الوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود فهي لا تختلف مع الأسس العامة عند رواد هذه الفلسفة وهي كما يلي:

مهـــــمة الفلسفة

قبل تحديد مهمة الفلسفة عند الرجل يجب إماطة اللثام عـن هـذا القـول { إن الفلسفة دراسة بغير موضوع ومن شاء أن يتصيد لها موضوعاً تخبط في ديجور بعد ديجور " [١].

ومن الواضح أن الرجل ينظر إلي الفلسفة علي أنها منهج للبحث فليس غايتهـا أن تبحث مسائل لتصل إلي نتائج حيث إنه ليس هناك مسائل فلسفية وبالتـالي لا ينبغي عنده أن يطلب من الفلسفة أن تصل إلي نتائج عن حقائق الكون ؛ لأن ذلك من شأن العلماء وبالتالي تصبح الفلسفة منهجاً بلا موضوع. وهنا يقول { إذ هي والله أضحوكة الأضاحيك أن يجلس المتفلسف علي كرسيه في برجه معزولاً عن العالم حتى إذا ما سئل: ما تصنع هاهنا في عزلتك هذه ؟

أجاب: أريد الوصول إلي حقيقة العالم " [٢] .

إذن فماذا تكون مهمة الفيلسوف حينئذ؟ الواقع أن الرجل يحصر الفيلسوف في

---

[١] زكى نجيب محمود : شروق من الغرب ص ٢٩٨ .

[٢] المرجع السابق نفس الصفحة .

نطاق النقد والتحليل والتعليل _ نقد رسائل التعبير وتحليل معني الألفاظ التي يستعملها الرياضيون والعلماء- وتعليل ذلك ليزداد الإنسان فهماً لما يقوله وهذا ما عبر عنه الرجل بقوله " إذا أُريد للفلسفة بقاء ، وجب أن تحصر نفسها في مهمتها الحقيقية الممكنة النافعة وهي التحليل المنطقي للألفاظ والعبارات " [١] وبذلك تصبح الفلسفة عنده تحليلاً صرفاً وبخاصة لقضايا العلم ، والوسيلة التي تتبعها الفلسفة في إنجاز تلك المهمة هي التحليل بنوعيه: المنطقي والفلسفي ، ولتوضيح الفرق بينهما يلجأ الرجل إلي تقسيم ألفاظ اللغة إلي نوعين

١- أسماء ٢- علامات

فأما الأسماء فهي التي تسمى بها الأشياء مثل: شجرة ، قلم ، كتاب ، وبذلك فهي تشير إلي أشياء موجودة في العالم الحسي.

وأما العلامات: فهي ألفاظ لا تسمى شيئاً في عالم الحس وإنما تربط الأجزاء في بناء واحد ، دون أن تضيف إلي تلك الأجزاء جديداً ومثال ذلك :- بين ، فوق ، كل ، إذاً ..... الخ.

بعد هذا التمييز بين الأسماء والعلامات ، فالتحليل المنطقي هو { البحث في هذه الألفاظ التي لا تسمي شيئاً مثل : كل ، بعض ، إما ، أو ، إذا ... الخ لأنه

---

[١] زكى نجيب محمود : موقف من الميتفيزيقا ص ٣٦ .

حين يبحث في هذه الألفاظ العلامية فإنما يبحث في التركيبة الصورية للعبـــارة ، بغض النظر عن المادة تملأ ذلك الإطار الصوري " [١].

إذن فالفيلسوف حينما يقوم بتحليل التركيب الصوري ليصل إلي ما يحتويه مـــن علاقات بين أجزائه ، " فإنما يستخدم التحليل المنطقي. وبذلك يصـــبح التحليـــل فلسفياً حينما يتناول الفيلسوف أسماء الأشياء بالتحديد والتحليل " [٢].

وهنالـــك تكـــون مهمـــة الفلســـفة هـــي التحليـــل لا أن تضـــيف جديـــداً عن العالم ، وهذا ما يؤكده الرجل بقوله { إن الفلسفة بالمعني المحدد الذي نريده لها لا تورط نفسها في مجالات العلوم الخاصة ، ولا تخلق لنفسها مجالات أخري غير مجالات العلوم. بل تجعل مهمتها تحليلاً منطقياً للمدركات العلمية والقضايا العلمية. وبهذا تصبح الفلسفة خادمة للعلم ، أي تصبح منطقاً للعلم ، أو تحليلاً له وهدفها هو التوضيح لا إضافة الجديد..... وللعلم أن يقرر والفلسفة توضح له ما يقرره " [٣] [١].

التمييز بين القضايا التركيبية والتحليلية

يعد هذا المبدأ من أهم مبادئ الفلسفة الوضعية لذا يميز الرجل بين القضية

---

[١] زكى نجيب محمود : موقف من الميتافزيقيا ص ١٥٥ .

[٢] المرجع السابق ص ١٥٥ .

[٣] السابق ص ١٥٦ .

التركيبية أو الإخبارية ، إذ إن محمولها يضيف خبراً جديداً مُستمد من الواقع الخارجي ، وبذلك فالمحمول في هذه القضية لا يكون تكراراً بأي صورة للموضوع أو تحليلاً له.

ومن أمثلة ذلك : المعادن تتمدد بالحرارة ، وطه حسين عميد الأدب العربي.

أما القضية التحليلية : فهي التي يكون محمولها طرفاً للموضوع أو جزءاً من مفهومة أو تعريفاً له. أو نتيجة منطقية لازمة عنه وبالتالي فهو لا يضيف جديداً له. ومن أمثلة ذلك:- الإنسان حيوان ناطق ، أو ٢ + ٢ = ٤ .

وتعد القضية التحليلية تحصيلاً لحاصل وهذه الفكرة " لو أنها غرست في الأذهان غرساً ثابتاً لأخرجنا شباباً مزوداً بعقول ناقدة تميز بين الحق والباطل ، وشرح ذلك أن هنالك في أحاديث الناس وكتاباتهم واعتقاداتهم ألوفاً من العبارات التي ظاهرها أنها حقائق وأما حقيقتها فهي أن من يستخدمها إنما يحدد لأحد المفاهيم معني من عنده وما دام الأمر كذلك فمن حق سواه أن يحدد لذلك المفهوم معني آخر دون أن يكون هنالك وجه للمفاضلة بين المعنيين من الوجهة النظرية " [١] .

ومن ثم فإن الرجل يري أن الدارس لو زود بالنظرة التحليلية الناقدة التي تميز بين فكرة قوامها تعريف، وفكرة أخرى قوامها مرجع في دنيا الواقع الفعلي لحدث

---

[١] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ١٠٥ .

انقلاب فكري فحياتنا الفكرية مليئة بالكثير من الأفكار التي هي من قبيل الطراز التعريفي التكراري الذي لا يجيز لأحد أن يحتج بفكرته علي خصمه، بل يرى أن اختلاف المذاهب الفكرية في السياسة والفلسفة والاقتصاد والنقد الفني وغيرها هو من هذا القبيل.

مبـــــدأ التحقق

وبعد أن ميز الرجل بين القضية التركيبية والقضية التحليلية يأتي هذه المبـدأ عنده والذي يرتبط بما سبقه من أسس الوضعية المنطقية فيري الرجل أنه لابـد للباحث من التفرقة بين :

حالتين بين فكرة قوامها تعريف وفكرة أخري قوامها مرجع في دنيا الواقع الفعلي لأن أهم عنصر مما نريد له أن يكون المبدأ الهادي في إبـداعنا الثقـافي علـي اختلاف ميولنا هو أن نتصور بوضوح ناصع هذه التفرقة لأن حياتنـا الفكريـة مليئة بالأفكار التي قوامها التعريف التكراري الذي لا يضيف جديداً. ولا يـري الرجل صورة فكرية نهتدي بها في نتاجنا الثقافي خيراً من هذه التفرقة.

والصورة الفكرية المطلوبة من خلال تمييز الرجل بين القضية التركيبية والقضية التحليلية. وبين فكرة قوامها تعريف وفكرة أخري قوامها مرجع في دنيا الواقـع الفعلي لتشتد وضوحاً وإيضاحاً في قوله.

- " إن معنـــي القضـــية وكيفيـــة إثبـــات صـــدقها شـــيء واحـــد فمـــا يستحيل علينا أن نثبت صدقه من القضايا لا يكون ذا معني علي الإطلاق إنما إذا سألنا عن معني العبارة ؟ كان سؤالنا معناه بصيغة أخري: كيف يمكن أن نحقق هذه العبارة " [١]-

ومـــن هـــذا التصـــور الجديـــد نشـــأ مبـــدأ التحقيـــق الـــذي يـــري أن القضية التي لا يمكن التحقق منها تعد في نظر الرجل قضـــية فارغـــة أي بـــلا معني، فلا يمكن الحكم عليها بالصدق أو بالكذب بل يعدها شبه قضـــية وليســـت بقضية.

والحق أن جهود الرجل المتصلة إبان ظهور الوضعية المنطقية لتتحصر تجت القول بأن القضية التركيبية إخبارية فمعيار صدقها أو كذبها هو الواقع ، فتكـــون صادقة حينما تكون مطابقة للواقع ، وتكون كاذبة إن لم تكـــن كـــذلك فـــالخبرة الحسية هي مبدأ التحقق بالنسبة للقضية التركيبية،وكل قضية تركيبيـــة يســـتحيل التحقق من صدقها هي في فلسفة الرجل قضية بلا معني واستحالتها منطقية. ومع هذه الخطورة لم يفتر الرجل عن البيان والشرح ليزيل الغموض عـــن القضـــية ويبين أثرها العميق عنده والحزين عندنا فيقول { ما يجوز قبوله هو مـــا يمكـــن

---

[١] زكى نجيب محمود : المنطق الوضعى جـ ١ ص ٣٧ .

منطقياً أن نجد له وسيلة لتحقيقه ، فإذا وجدنا العقبة التي تحـول دون التحقيـق الفعلي عقبة فنية أو عقبة تجريبية كان ذلك مانعاً من قبول الجملة أو السؤال من الوجهة المنطقية " [١] .

ويرى الرجل أن الأساس اليسير الواضح للاستحالة المنطقية أنها تضم جميع الاستحالات:

" ١- الاسـتحالة الفنيـة:- توجـد نتيجـة وجـود عجـز فـي الأدوات التي نستخدمها ، وتختلف هذه الاستحالة وفقاً للتطور والتقدم التقني.

٢- الاستحالة التجريبية:- توجد نتيجة تناقض قانونٍ من قوانين الطبيعة مثل عدم ذوبان الثلج حين يوضع في ماء مغلي.

٣- الاستحالة المنطقية:- اجتماع الضدين مثال ذلك أن أكون موجـوداً وغيـر موجود في وقت واحد. والاستحالة المنطقية تتضمن الاستحالتين السابقتين. فمـا هو مستحيل منطقياً مستحيل كذلك تجريبياً وفنياً " [٢].

وينتقل الرجل من القضية التركيبية إلي القضية التحليلية ويتحدث فيها عن العلاقة بين اللغة التي يتداولها الناس كلاماً وكتابة وبين الحقائق التي جاءت تلك اللغـة

---

[١] زكى نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ٩٠ .

[٢] زكى نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

لتشير إليها فيري أن اللغة في مفرداتها وفي طرائق تركيبها متجانسة في طبيعتها مع الحقائق الموضوعية التي جاءت تلك اللغة لتتحدث عنها.

فالقضية التحليلية، تكرارية وتعد تحصيل حاصل، ومعيار صدقها أو كذبها يتوقف علي تحليلها لغوياً { فإذا أوضح التحليل أن الشق الأول هو بعينه الشق الثاني كانت صادقة مثل:- للمثلث ثلاثة أضلاع.

وأما إذا كان هناك تناقض بين طرفي القضية فهي كاذبة مثل: للمربع ثلاثة أضلاع " [١] .

ويرى الرجل أن الصدق في القضايا التحليلية صدق يقيني قبلي أي يتقرر صدقها قبل استطلاع الطبيعة أو الرجوع إلي أية خبرة أو تجربة، وهذا هو حال القضايا الرياضية والمنطقية فمثلاً إذا كنت في مجال العلم الرياضي أمام معادلة ، أو أمام فرض ونتيجة تلزم عنه ففي كل من الحالتين أنت أمام طرفين ويتوقف الصدق علي ما بين الطرفين من تطابق، { فإذا كانت المعادلة في الحالة الأولي مثلاً:- ٣+٤=٧ فلكي تري التطابق واضحاً حلل كل شطر من شطري المعادلة إلي آحادها تجد بين يديك سبعة آحاد في كل منهما.

ولو كان الذي بين يديك هو فرض ونتيجة تلزم عنه كقولنا مثلاً:-

---

[١] زكى نجيب محمود نحو فلفسفة ص ١٦٥ .

إذا كان (أ) ضعف (ب) وكانت (ب) نصف (أ) ففي هذه الحالة إذا أردت رؤية التطابق بين الفرض والنتيجة حلل معني كلمة (ضعف) وكلمة (نصف) فعندئذ تري أن الفرض بأن (أ) ضعف (ب) هو كالقول بأن (أ) إذا قسمت نصفين، كان كل نصف منهما هو (ب) فيظهر لك في وضوح أن النتيجة لا تقدم لنا شيئاً أكثر من أنها كررت الحقيقة الماثلة في الفرض ، أي أن بين الشقين تطابقاً ومن ثم جاء الصدق " [1].

والنقطة المهمة فيما ذكرناه أن الرجل يري أن مصدر الصدق اليقيني في الاستدلالات الرياضية وأهميتها لا يقتصر علي مجال الرياضة وإلا لتركناها لعلماء الرياضة وأعفينا منها القارئ العام، بل إن أهميتها تتجاوز تلك الحدود التخصصية لتضرب في أصلاب العمليات الفكرية أياما كان موضوع النظر " فدقق النظر فيما ذكرناه لك في المثالين السابقين لتوضيح الفكر الرياضي. ففي المثال الأول عرضنا معادلة حسابية لنبين أن صحتها نابعة من التطابق بين شطريها تطابقاً يجعلهما إذا أخضعناها للتحليل وجدنا أنهما علي تشابه تام أحدهما مع الآخر ، فكأننا نكرر حقيقة واحدة مرتين.

وفي المثال الثاني قدمنا فرضاً ثم استخرجنا منه نتيجة تلزم عنه، فتصبح النتيجة

---

[1] زكي نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ص ١٦٥ .

صادقة صدقاً محتوماً إذا سلمنا بصدق الفرض " [١] .

فصحة المعادلة في الرياضة وصحة استدلال نتيجة من مقدمتها إنما هي صحة قررناها من داخل الرموز الرياضية التي استخدمناها ولم نلجأ قط إلي عالم الأشياء والظواهر لنرى إذا كان القول مطابقاً لشيء أو لظاهرة من أشياء الدنيا الخارجية وظواهرها. في حين أن القضايا التركيبية احتمالية الصدق وبعدية لأن التحقق من صدقها يتطلب مراجعة الواقع وهي مراجعة قد تنتهي بتأييدها أو بتفنيدها.

ويتساءل الرجل في قوله { هل يمكن للجملة الإخبارية التي تقول عن العالم الخارجي شيئاً أن تكون قبلية ؟ أعني ..

هل يمكن الحكم علي قضية إخبارية بالصدق الضروري اليقيني من مجرد النظر إلي تكوينها كما نفعل في القضايا الرياضية؟

ويجيب الرجل عن هذا السؤال بالنفي القاطع " [٢] .

والرجل يحرص علي استحالة الجمع بين الخبر وضرورة الصدق في جملة واحدة دون مراجعة الواقع الخارجي للتحقق من صدقها.

---

[١] زكي نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ص ١٧٠ ، ١٧١ بتصرف .

[٢] السابق ص ١٧١ .

هذا هو مفهوم الوضعية المنطقية عند الرجل الذي كان همه الأول فيها معـــاداة الدين وقائمة الاتهامات التي نوجهها للرجل علي وجه الخصوص ولا نوجهها إلي الوضعية المنطقية علي وجه العموم؛ لأنها فلسفة تحاول أن توضح كيفية التفكير حتى تستقيم خريطة العقل – لكن الرجل جرها إلي ميدان الدين وهـــو اغتيـــال متعمد لفكرنا الإسلامي تمهيداً للفكر المضاد وهذا ما سنستعرضه في:

أخطار الوضعية المنطقية في
فلسفة زكي نجيب محمود

لو كانت القضية مجرد تحليل منطقي لدنيا الفكر الإنساني أو مجرد خطأ فكري ما استحق الأمر أكثر من الأسف من الرجل ولكن الأمر يتجاوز هذا، يتجـاوزه إلي درجة أن يصل الرجل بعد تحليلات طويلة ، وعميقة إلي الهدف الذي كان قد أضمره في نفسه قبل التحليل وهو القول برفض الميتافيزيقيا التي سخر لها قلمه لأنه لا يمكن التحقق من صدقها في الواقع الخارجي.

والقول بنسبية الأخلاق للخروج علي التسويغ الشرعي وباسم حرية الفكر وصل فكر الرجل إلي هذا الحد وبدلاً من أن يكون الفكر قلعة حصينة للمفكـر الحـر يتحول الفكر علي يد الرجل من أهدافه الرفيعة السامية ليتخلى الرجل عن عقيدته ، ويدعو إلي علمية الفلسفة التي يراها ترفض الميتافيزيقيا.

رفض الميتافيزيقيا
في فلسفة زكي نجيب محمود

عُـرِضَ كتابـه "خرافـة الميتافيزيقيـا" وبـدلاً مـن أن يوضـع الكتـاب في أحراز مباحث أمن الدولة لأنه كتاب يعارض النصوص الإسلامية الواضحة وينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ويبطل ثوابت إسلامية راسـخة تسـير علي وفقها الدنيا في طريقها إلي الآخرة. هوجم الرجل فلم يتنازل عن فكره ولم

ينصهر مع المفكرين الإسلاميين ولم يُغـير شيء سوى اسم الكتاب الذي جعله " موقف من الميتافيزيقيا " بدلاً من " خرافة الميتافيزيقيا "

إن موقف الرجل من الميتافيزيقيا يحدد أسس الوضعية المنطقية في فكره، وهـو الرفض التام للعالم الأخروي فهو ينظر إلـي الميتافيزيقيـا علـي أنهـا (تـارة أسطورة) [١] و(تارة أخرى أنها خرافة) [٢] ، بل (يعدها كلاماً بلا معنى) [٣] . وبالجملة الرفض التام لها فيقول : { وكـالهرة التـي أكلـت بنيهـا ؟ جعلـت الميتافيزيقيا أول صيدي جعلتها أول ما أنظر إليه بمنظار الوضـعية المنطقيـة لأجدها كلاماً فارغاً لا يرتفع إلي أن يكون كذباً،لأن ما يوصف بالكـذب كـلام يتصوره العقل ، ولكن قد تدحضه التجربة " [٤].

وغني عن البيان قول الرجل " إن الباحث عن الميتافيزيقيا باحـث عـن قطـة سوداء في ليلة مظلمة " [٥] .

والنتيجة عند الرجل أن العبارات الميتافيزيقية لا تصنف تحت القضايا التركيبية ،أو القضايا التحليلية، والشرط الأساسي عند الرجل أنه لا يمكن فهم أي كلام ما لم تكن هناك طريقة نتحقق من خلالها علي مدى صدقه وكذبه ويرى الرجل أن

---

[١] زكي نجيب محمود : قشور ولباب ص ١٦٠ .

[٢] زكي نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص د .

[٣] زكي نجيب محمود : الكوميديا الأرضية ص ٢١٦ .

[٤] زكي نجيب محمود : المنطق الوضعي جـ ١.

[٥] زكي نجيب محمود موقف من الميتافيزيقيا ص ١٩٠ .

" كل عبارة ميتافيزيقية هي من أحد هذين النوعين، فهي إما مشتملة علي كلمة أو كلمات لم يتفق الناس علي أن يكون لها مدلول يبين الأشياء المحسوسة، أو مشتملة علي كلمة أو كلمات اتفق الناس علي مدلولاتها، لكنها وضعت في غير السياق الذي يجعلها تفيد معناها " (١).

إن هذا الرجل يحرص أشد الحرص علي رفض العبارات الميتافيزيقية، والسر ينطلق عنده من كونها لا تحقق الشرط الذي تحققه القضايا التركيبية في إمكانية التحقق الحسي منها. كما أنها لا تحقق شرط الاتساق الذي تحققه القضايا التحليلية. وعليه فالجواب القاطع الذي لا يمكن أن يدحض ويرفض عند الرجل هو أن الكلام الميتافيزيقي فارغ لا يحمل معني ويصرح الرجل في غير حيطة ولا تحفظ استخفافا بالعقل وبالدين الإسلامي وبالعلم وبأمانة القول ودقته فيقول " الجملة الميتافيزيقية عبارة يُراد بها أن تعبر عن قضية حقيقية لكنها في حقيقة أمرها لا هي بمعبرة عن تحصيل حاصل، ولا عن فرض تحققه التجربة، ولما كانت تحصيلات الحاصل والفروض التجريبية تستنفذ كافة القضايا ذات المعني كان لنا ما يبرر التأكيد بأن ما تقوله الميتافيزيقيا خال من المعني " (٢).

وتأمل كلام الرجل الذي يرى أن العبارات الميتافيزيقية رموز فارغة خالية من الدلالة والمعني وكلام لا يستفيد منه السامع لأنه لا يدل علي شيء.

ونتساءل: كيف نشأ القول بالميتافيزيقيا – والاسم يأتي بعد المسمى ؟!!

ويجيب الرجل بقوله { إن الميتافيزيقيا نشأت نتيجة غلطة أساسية هي الظن بأنه ما دامت هناك كلمة في اللغة فلابد أن يكون لها مدلول ومعني ، وكثرة تداول

---

(١) زكى نجيب محمود قشور ولباب ص ١٦٢ .

(٢) زكى نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ٨٢ .

اللفظة ووجودها في القواميس يزيد الناس إيماناً بأنه يستحيل أن تكـــون مجـــرد ترقيم أو مجرد صوت بغير دلالة " [١] .

وهذا القول رفض الميتافيزيقيا الثقيل القاتم المخيف دق أوتاده ونصب خيامـــه في عقل الرجل فلجأ في رفضه للميتافيزيقيا إلي التحليـــل المنطقـــي والتحليلـــي الفلسفي حيث يري الرجل أن التحليل المنطقي وحده لا يكفـــي للقضـــاء علـــي الميتافيزيقيا لأنه يقوم بجانب واحد ، وهو { إن العبارات الميتافيزيقية تكشف عن خطأ في فهم قائلها للبناء اللغوي وما ينطوي عليه من روابط وعلاقات، فيجـــيء التحليل الفلسفي ليجهز علي البقية الباقية؛ إذ يتناول المدركات الفلســـفية نفســـها بالتحليل الفلسفي مثل القيم، وحرية الإرادة ووجود العالم الخارجي " [٢].

ويري الرجل أنه كثيراً ما تتحجر في عقول الناس أفكار فتظل ثابتـــة عنـــدهم ثبات الحجر، وهنا يتسلل الخطأ الخطير الذي يفسر ذلك الثبات عند الناس بأنـــه ثبات الحق، ولكي يغير الرجل من أفكارهم فلابد أن يلجأ إلي التحليـــل الفلســـفي الذي هدفه تحديد أسماء الأشياء، ومن خلاله يتبين أن الألفاظ التي لا تشير إلـــي مسميات خارجية إنما تشير إلي اللاشيء ، ومن هنا يري أن وجود الكلمة لـــيس دليلاً علي وجود المسمى وجوداً عينياً في عالم الأشياء، وهذا هو الأساس الـــذي

---

[١] زكى نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ١٠٥ .

[٢] السابق ص ١٥٦ .

استخدمه في رفض الميتافيزيقيا، ويعجب الرجل ما شاء وما استطاع من عجب أن يطول الزمن بهذه اللعبة فيقول " ولو تابعت الفلاسفة الميتافيزيقيين في ظنهم بأن الكلمة -الميتافيزيقيا- لابد لها من مسمي لرأيت عندهم عجباً " [١] .

وقبل أن يُسدل الستار علي هذه القضية - الوضعية المنطقية-نقول:-

كان من الممكن للرجل أن ينقل الوضعية المنطقية علي نحو ما أراد لها واضعو القضية لتبقى فلسفية توجه الفكر الإنساني ليبلغ الدقة في التعبير عند المثقفين ولكن الرجل جر القضية إلي مجال الدين وأغفل النصوص الشرعية الواضحة والمعصومة، ووصل به الأمر إلي القول "بأن الميتافيزيقيا كلها كلام فارغ، ويرى أن الواجب علينا تجاه تلك الكتب التي كتبها الميتافيزيقيون علي مر العصور أن ننظر إليها علي أنها أساطير الأولين؛ يقول الرجل { إنه لعزيز علي وعليك أن تلقى هذه الأسفار - كما ينبغي لها - طعاماً لألسنة النار أو أثقالاً في قاع المحيط وإذن فلنبق عليها ليقرأها القارئ - إذا أخذه الحنين إلي الماضي- كما يقرأ أساطير الأولين " [٢] .

وبعد أن أشبع الرجل القضية - الوضعية المنطقية - تفصيلاً وتحليلاً مهتدياً بالفكر الغربي للطعن في الثوابت الإسلامية الراسخة بل للطعن في { الدين

---

[١] زكي نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ١٠٨ .

[٢] زكي نجيب محمود : قشور ولباب ص ١٧٠ .

السماوى لأنه يؤكد على اليوم الآخر " [١] [٢] ، ومن هنا كانت أهمية الاعتراف بأن وضعية الرجل ظلت عاجزة عن تبرير النصوص الشرعية الخاصة باليوم الآخر فقد أكدت تلك النصوص أهميته بأساليب كثيرة لندرك علي الفور هول المسافة بين وضعية الرجل وشرعية النصوص، فقد سمي اليوم الآخر بأسماء كثيرة :

١-يوم الدين :

قال تعالي: ﴿ **يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴾ [٣]

٢- وسمي اليوم الآخر بيوم القيامة، لقيام الناس فيه من قبورهم .

قال تعالي: ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ [٤]

٣- وسمي اليوم الآخر بالحاقة، لأنه اليوم الذي يحق فيه الحق .

قال تعالي: ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [٥]

٤- وسمي اليوم الآخر بالغاشية ، لأنه يغشاهم بأهواله.

---

[١] لم نستخدم لفظ الأديان السماوية كما يفعل الكثير من الباحثين وذلك لقوله تعالى ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ آل عمران : ٨٥]

[٢] سورة الانفطار الآيات ١٥ : ١٩ .

[٣] سورة القيامة آية : ١ .

[٤] سورة الحاقة الآيات ١: ٣ .

قال تعالي: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [١]

٥- وسمي اليوم الآخر بالقارعة لأنها تقرع الناس بأهوالها وتفزعهم .

قال تعالي: ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [٢]

٦-وسمي اليوم الآخر بالصاخة. وسميت بذلك لأنه يصخ الأسماع أي يبالغ في إسماعها حتى يكاد يصمها.

قال تعالي: ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [٣]

٧-وسمي اليوم الآخر بالطامة؛ لأنها تطم علي أمر هائل مفزع.

قال تعالي: ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى ﴾ [٤]

٨- وسمي اليوم الآخر بيوم الفصل لأن الله يفصل فيه بالقضاء بين العباد بعد أن يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد ليجازي كل عبد بعمله.

قال تعالى : ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ [٥]

---

[١] سورة الغاشية آية : ١

[٢] سورة القارعة آية : ١ : ٣ .

[٣] سورة عبس الآيات ٣٣ : ٣٧ .

[٤] سورة النازعات آية : ٣٤ ، ٣٥ .

[٥] سورة المرسلات آية : ١٢ : ١٤ .

وغير ذلك من الأسماء التي ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولنا أن نقول : إن اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر أو- الميتافيزيقيا- كما يقول الفلاسفة يجعلك لا تحتاج منه إلا الآيات القرآنية الكريمة فتري الآيات تصور هذا اليوم تصويراً يجعلك القرآنية الكريمة فترى الآيات تصور هذا اليوم تصويراً يجعلك لا تقول ماذا يريد الباري جل وعلا؛ فالمشاهد الكونية تذهل العباد وقد كان لذلك أثر بين في نفس أي قارئ للقرآن الكريم؛ فالمشاهد العلوية: للسماء، وللشمس، وللنجوم، وللكواكب.

والمشاهد الكونية الدنيوية: للأرض، والجبال، والبحار؛ ومشاهد الناس يوم القيامة من خروجهم من الأجداث وذهول الناس عن أنفسهم وما يملكون وتغيير أحوال الناس وصفة مجيئهم لأرض المحشر، ووقوف الأمم للحساب وتسلم نتائج الأعمال كل أولئك يُقنع المسلم من عمق قلبه وفؤاده بهذه الأحوال.

وإليك طرفاً من هذه المشاهد.

أولاً: مشاهد الكائنات العلوية

١- مشهد السماء:

قال تعالي: : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [١]

وقال تعالي: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [٢]

وقال تعالي: ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾ [٣]

---

[١] سورة الرعد آية : ٢ .

[٢] سورة الطلاق آية : ١٢ .

[٣] سورة الطور آية : ٩ .

وقال تعالي: ﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [١]

وقال تعالي: ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ [٢]

وقال تعالي: ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ [٣]

وقال تعالي: ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ﴾ [٤]

وقال تعالي : ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ [٥]

وقال تعالي : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ [٦]

وقال تعالي : ﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابا ﴾ [٧]

وقال تعالي: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [٨]

وقال تعالي:﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [٩]

وقال تعالي: ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ [١٠]

---

(١) سورة الانشقاق آية : ١ ، ٢.

(٢) سورة الرحمن آية : ٢٧ .

(٣) سورة المعارج آية : ٨ .

(٤) سورة الحاقة آية : ١٦ .

(٥) سورة المرسلات آية : ٩ .

(٦) سورة الانفطار آية : ١ .

(٧) سورة النبأ آية : ١٩ .

(٨) سورة الفرقان آية : ٢٥ .

(٩) سورة الفرقان آية : ٢٦

(١٠) سورة التكوير آية : ١١ .

وقال تعالي: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١]
وقال تعالي: ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ [٢]

٢- مشهد الشمس والقمر:-

قال تعالي: ﴿ فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر ﴾ [٣]
وقال تعالي: ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ [٤]

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة.فقال الحسن: ما ذنبهما ؟ فقال :إنما أحدثك عن رسول الله ﷺ فسكت الحسن. [٥]

٣- مشهد النجوم:

قال تعالي: ﴿ فإذا النجم طمست ﴾ [٦]
وقال تعالي: ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ [٧]

وقال تعالي : ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ [٨]

---

[١] سورة الزمر آية : ٦٧ .
[٢] سورة إبراهيم آية : ٤٨ .
[٣] سورة القيامة الآيات ٧ : ٩ .
[٤] سورة التكوير آية : ١ .
[٥] أخرجه الإمام الطحاوى فى " مشكل الآثار " ٦٦/١ ، ٦٧ ، وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى وقد أخرجه فى صحيحه مختصرا فقال ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥ حدثنا عبد العزيز بن المختار بلفظ . . . الحديث .
[٦] سورة المرسلات آية : ٨ .
[٧] سورة التكوير آية : ٢ .
[٨] سورة الانفطار آية : ٢ .

وقال تعالي : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ [١]

ثانياً: مشاهد الكائنات الدنيوية

١- مشهد الجبال:

قال تعالي: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [٢]

وقال تعالي: ﴿ ألم نجعل الأرض مهدا والجبال أوتادا ﴾ [٣]

وقال تعالي: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [٤]

وقال تعالي : ﴿ يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ﴾ [٥]

وقال تعالي: ﴿ وبست الجبال بسا ﴾ [٦]

وقال تعالي: ﴿ وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴾ [٧]

---

[١] سورة التكوير آية : ١ .

[٢] سورة الكهف آية : ٤٧ .

[٣] سورة النبأ الآيات ٦ ، ٧ .

[٤] سورة طه الآيات ١٠٥: ١٠٧ .

[٥] سورة الطور الآيتان ٩ ، ١٠ .

[٦] سورة الواقعة آية : ٥ .

[٧] سورة المزمل آية : ١٤ .

وقال تعالي: ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ [١]

وقال تعالي: ﴿ وسيرت الجبال فكانت سرابا ﴾ [٢]

٢- مشهد الأرض:

قال تعالي: ﴿ يوم ترجف الأرض ﴾ [٣]

وقال تعالي: ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ [٤]

وقال تعالي: ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ [٥]

وقال تعالي: ﴿ كلا إذا دكت الأرض دكا دكا ﴾ [٦]

وقال تعالي: ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ [٧]

وقال تعالي: ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها ﴾ [٨]

وقال تعالي: ﴿ يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ﴾ [٩]

---

[١] سورة المعارج الآية : ٩ .

[٢] سورة النبأ آية : ٢٠ .

[٣] سورة المزمل آية : ١٤ .

[٤] سورة الزلزلة الآية : ١ .

[٥] سورة الحاقة الآية ١٤ .

[٦] سورة الفجر آية : ٢١ .

[٧] سورة الانشقاق آية : ٤ .

[٨] سورة الزلزلة الآيتان ٢ ، ٣ .

[٩] سورة الزلزلة آية : ٤ ، ٥ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه – قال : " قرأ رسول الله هذه الآية "يومئذ تحدث أخبارها" قال :أتدرون ما أخبارها؟ قالوا:الله ورسوله أعلم. قال:"فإن أخبارها أن تشهد علي كل عبد أو أمة بما عمل علي ظهرها ، تقول: عمل يوم كذا وكذا وكذا، فهذه أخبارها " [١] .

وقال تعالي : ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ [٢]

وقال تعالي: ﴿ **وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [٣]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: " سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ " [٤]

٣- مشهد البحار:

قال تعالي: ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ [٥]

---

[١] رواه الترمذى فى سننه " كتاب تفسير سورة الزلزلة " حديث ٣٣٥٣ وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الإمام أحمد فى المسند ٢/٣٧٤ .

[٢] سورة إبراهيم الآية : ٤٨ .

[٣] سورة الزمر آية : ٦٧ .

[٤] رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة الزمر حديث ٤٨١٢ ، ورواه مسلم كتاب صفة المنافقين حديث ٢٧٨٧ ، وما ذكره ابن حجر عن هذا الموضوع .

[٥] سورة التكوير آية : ٦ .

وقال تعالي: ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ [١]

ثالثاً: مشاهد الناس يوم القيامة

١-خروج الناس من الأجداث:

قال تعالي: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالي: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ [٣]

وقال تعالي: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [٤]

وقال تعالي: ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ [٥]

وقال تعالي: ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ﴾ [٦]

وقال تعالي: ﴿ القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ [٧] .

٢- ذهول الناس عن أنفسهم وما يملكون:

قال تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ

---

[١] سورة الانفطار آية : ٣ .

[٢] سورة الزمر آية : ٦٨ .

[٣] سورة ق آية : ٤٢ .

[٤] سورة ق آية : ٤٤ .

[٥] سورة الانفطار آية : ٤ .

[٦] سورة العاديات آية : ٩ .

[٧] سورة القارعة الآيات ١ : ٥ .

سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [١]

وقال تعالي: ﴿ يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به ﴾ [٢]

٣- تغير أحوال الناس :

وقال تعالي:﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [٣]

قال تعالي: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤]

وقال تعالي: ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [٥]

وقال تعالي: ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [٦]

٤- صفة مجيئهم لأرض المحشر:

قال تعالي: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [٧].

---

[١] سورة الحج آية ١ ، ٢ .

[٢] سورة المزمل آية : ١٧ ، ١٨ .

[٣] سورة عبس آية : ٣٣ : ٣٧ .

[٤] سورة الدخان آية ٤٠ : ٤٢ .

[٥] سورة المؤمنون آية : ١٠١ .

[٦] سورة الطور آية : ٢٥ .

[٧] سورة القمر آية ٦ : ٨ .

قال تعالي: ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ [١]

وقال تعالي: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [٢]

وقال تعالي: ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾ [٣]

وقال تعالي: ﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ﴾ [٤]

وقال تعالي: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [٥]

وقال تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ [٦]

وقال ابن عباس " يحشر كل شيء حتى الذباب " [٧]

وقال تعالي: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [٨]

---

[١] سورة المدثر آية ٩ : ١٠ .

[٢] سورة المعارج آية : ٤٣ ، ٤٤ .

[٣] سورة الكهف آية : ٤٧ .

[٤] سورة ق آية : ٤٤ .

[٥] سورة الأنعام آية : ٣٨ .

[٦] سورة التكوير آية : ٥ .

[٧] تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير ٧٨٤/٤ .

[٨] سورة ق آية : ٤١ : ٤٤ .

وقال تعالي: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ (١)

٥-جثو (٢) الأمم للحساب :

قال تعالي: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

٦- تسلم نتائج الأعمال:

قال تعالي: ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ (٤)

وقال تعالي: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ ﴾ (٥)

وقال تعالي: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ﴾ (٦)

وقال تعالي: ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ (٧)

---

(١) سورة يس آية : ٥١ : ٥٣ .

(٢) جثو : جمع جاث وهو الذى يجلس على ركبتيه ، انظر فتح البارى ٨/٤٠٠ .

(٣) سورة الجاثية آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) سورة التوبة آية : ٣ .

(٥) سورة الحاقة آية : ١٩ ، ٢٠ .

(٦) سورة الحاقة آية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٧) سورة التغابن آية : ٩ .

هذه المشـــاهد كلها من سرور وفرح وحزن وأسي لا تدع مجـالاً لمنكـر، ويطول بنا القول لو مضينا نستقصى تفاصيل الجنة والنار ومـا يحـدث فيهمـا فالقرآن الكريم قدم لنا صورة دقيقة لنعيم الآخرة من حور عين وولدان مخلدين ، وفاكهة مما يشتهون وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفـون وجنـات تجـرى مـن تحتهـا الأنهـار مـن لـبن وعسـل وخمـر ومـاء زلال وسرر وأرائك وخيام وقباب فرشها من سندس وإستـــبرق .

وجنات عرضها السماوات والأرض ، وما يجرى مجرى ذلك وتقسـيم الراحـة الروحانية إلى الخلو من الأحزان والمخاوف والدوام على الفـرح والسـرور ، وأعظم من ذلك كله رؤية رب العالمين" جل وعلا "وكشف الحجاب عنه تعـالى لهم. وليس من شك أيضاً أن ما أعده الله للمسيئين بأضداد ذلـك مـن السـعير والزمهرير والزبانية والسلاسل والأغلال وأكـل الضـريع وشـرب الصـديد والضرب بالحديد ، وتبديل جلودهم عقب جلود تأكلها النار حتى لا يفنى عقابهم .

هذا هو الثواب والعقاب الذى ذكرته النصوص الشرعية المعصومة .

بيد أن موهبة الرجل الفلسفية قد اعتراها الظلام لأنها بعدت عن هدى السـماء، فأضرت صاحبها ولم تنفعه.

ومن هنا كانت المهمة الثقيلة التي فرضها هذا البحث علي كاتب السطور، وتلك المهمة هي:-

ما الحكم علي هذا الرجل الذي أنكر اليوم الآخر؟

لعل من يتخوف من إطلاق لفظ (الكفر) علي الآخرين يقول:

هذا الفكر – رفض الميتافيزيقيا – غريب ومرفوض ، ومن يملك الشجاعة الفكرية يقول:

أنا أقول قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متلثماً. هذا إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وكلام الرجل ..... وغير ذلك من تعبيرات الحكم علي فكر الرجل.

وكاتب السطور حين يطرح كل هذه الاتجاهات يعلم أن القضية –رفض الميتافيزيقيا–حُبلي بها لكنه يفتح الآفاق والاحتمالات ويصل في خاتمة بحثه إلي شيء ربما لا يخطر علي بال باحث يقرأ هذه القضية المعقدة.

الفصل الثالث

نسبية القيم الأخلاقية

فى

فلسفة زكى نجيب

مما لا شك فيه أننا نتفق مع علماء الأخلاق فـــى قـــولهم إن دراســـة علـــم الأخلاق هدفها تحسين الفضيلة والترغيب فيها وتقبيح الرذيلة والنهي عنها.

وليس كل من قرأ علم الأخلاق يصبح علي خلق فاضل ولكن لكـــي يصـــبح المرء علي خلق فاضل لابد أن يطبق علمه علي عملـــه وأن يحـــول المســـائل النظرية إلي واقع عملي تطبيقي فعلم الأخلاق أشبه ما يكون بعلم الطب ، يعرف المريض بحالته الصحية ويبين له علته ويصف له طرق الوقاية من الداء ويصف له الدواء، ثم بعد ذلك يكون مرجع الأمر كله إلي المريض إن شاء اتبع إرشـــاد الطبيب وعمل بنصائحه وإن شاء لم يفعل ، وليس فـــي اســـتطاعة الطـــب ولا الأطباء أن يجبروه علي إتباع إرشاداتهم ونصائحهم. " ومثل ذلك علم الأخلاق ، يعرفنا بالفضائل ويدلنا علي طريق الفضيلة وليس في سلطته بعد ذلك أن يجعلنا فضلاء صـــالحين ما لم يكن عندنا استعداد وإرادة لأن نأتمر بـــأوامر وننتهـــي بنواهيه " [1].

ذلك هو المبدأ المنهجي الذي يركز عليه علم الأخلاق ومنهج العلم واحـــد عنـــد جميع من ينتجون علماً.

وبهذه الخطوط العريضة ينطلق العلماء ليبدعوا في رسم الطريق الذي يؤدي

---

[1] محمود محمد مزرعة : علم الأخلاق ص ٤٩ .

بالإنسان إلي الخير ويصل به إلي السعادة والفضيلة ويبعد به عن الشقاء والرذيلة لكن الرجل يطوي علم الأخلاق جانباً نتيجة لما آمن به من أسس الوضعية المنطقية من تمييز بين القضايا التركيبية والتحليلية وتطبيقاً لمبدأ التحقق علي العبارات الأخلاقية فإنه يري أنها تعد من قبيل العبارات الميتافيزيقية الخالية من المعنى يقول الرجل في إيجاز شديد " العبارات التي تتحدث عن الخير وعن الجمال في زمرة الميتافيزيقيا بالمعنى الذي حددناه لها وبالتالي فإننا نرى العبارات التي تتحدث عن هاتين القيمتين في الأشياء خالية من المعنى ولا تصلح أن تكون علماً ولا جزءاً من علم " [١] وإن العقل لينفر من قول كهذا لأنه لو صدق القول بأن القيم الأخلاقية خالية من المعنى ولا تصلح أن تكون علماً ولا جزءاً من علم لانتفى وجود الدين نفسه فضلاً عن انتقاء وجود علم الأخلاق.

والرجل بلغ هذا الحد بل ويضع الضابط الضروري الذي يجعل القيم الأخلاقية أو الجمالية لا تصلح أن تكون علما أو جزءا من علم حيث يرى أن الشرط الرئيس الذي يجب أن يتوفر في أية قضية علمية هو إمكان التحقق من صدقها ، وهو لا يتوفر في تلك العبارات الأخلاقية أو الجمالية لأنها تعبر عما في نفس قائلها ، فهي إذن مجرد تعبير ذاتي لا يخضع للحكم سواء بالصدق أو بالكذب .

---

[١] زكى نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ١٢٦ .

وأمر الرجل لمن يتدبرون عجب من عجب حينما يذكر أن للغة هـدفين همـا التعبير من جهة والتصوير من جهة أخرى ، فتكون العبارة اللغوية تعبيريـة إذا كانت منصرفة إلي إخراج ما يشعر به القائل داخل نفسه ، وهي تصويرية حينما تصف شيئاً خارجاً عن ذات القائل ، وبناءً علي ذلك فإنه يعد العبارات الأخلاقية والجمالية من قبيل الجمل التعبيرية لأنها " تدل علي حالة نفسية عند المتكلم نفسه ، أي تدل علي أن في المتكلم انفعالاً بالحب أو الكراهية نحو شئ بعينه ، إذا نظر الرائي إلي شئ فقال عنه هذا خير أو "هذا جميل" كان بقوله هذا مشـيراً علـي حالته الداخلية إزاء هذا الشيء دون أن يدل علي شئ خارج نفسه " [١] .

وينتهي الرجل إلي القول بأن العبارات الأخلاقية أو الجمالية لا تنتمي إلـي القضايا التحليلية أو التركيبية ، وذلك لأنها إذا كانت تحليلية فهي عندئذ لن تخبر بشيء عن عالم السلوك ، وإذا كانت تركيبية فلن يتوفر فيهـا اليقـين ، ويزيـد الرجل هذا المعنى وضوحاً فيقول : { المبدأ الأخلاقي إن كـان شـبيهاً بقضـايا العلوم الطبيعية ، فليس هو ضروري الصدق وإن كان شـبيهاً بقضـايا العلـوم الرياضية في ضرورة صدقها فليس هو بالقائل عن عالم السلوك شيئاً ، وفي كلتا

---

[١] زكى نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ١٢٦ .

الحالتين لا يكون لمبادئ الأخلاق ما أراد لها الفلاسفة من صدق يقيني مطلق يفرض نفسه علي كافة أفراد البشر في كل مكان وفي كل زمان " [١].

والرجل في هذه القضية – نسبية القيم الأخلاقية – لم يشارك الفلاسفة مشاركة إيجابية منتجة وكاشفة عن قيمة علم الأخلاق وإنما شارك مشاركة سلبية أخف مما يحسب لها حساب بل تعنى فوق ذلك ما هو أخطر وهو أنه خالف رواد علم الأخلاق الذين يصرون على المماثلة بين الأخلاق والعلم ، يتضح ذلك من قول الرجل { إن أصر الفلاسفة على أن يماثلوا بين الأخلاق وبين العلم كانت النتيجة الحتمية لذلك زوال الأخلاق نفسها لأننا عندئذ سنكتفي فيها بالعبارات الوضعية، ونخرج منها جانب الأمر ، أي إننا نكتفي بأن نصف الطرائق التي يسلك بها هذا المجتمع أو ذاك في ظروف حياتهم المختلفة دون أن نصف هذه الطرائق بقيمة معينة فنقول إنها حسنة أو رديئة ، مع أن صميم الأخلاق هو أن تكون معيارية " [١] .

ما سبق كان موقف الرجل من القيم الأخلاقية الأقدم والأرسخ والأوضح من أن تكون موضوعاً لسؤال إلا أن الرجل يثير القلق ويتخبط في غياهب تحليلات لا يصل إليها نور الفكر الواضح فيرى أن القيم الأخلاقية أو الجمالية ليست ثابتة

---

[١] زكى نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ص ٣٦٢ .

[١] السابق نفسه .

وبتعبير أدق أن الفضيلة والرذيلة ليست ثابتة محددة وإنما هي نوع من الرؤى التي تأتي نتيجة للثقافة التي يعيشها الشخص فيطلق تلك القيم علي المواقف .

ولست أرى صورة فكرية نهتدي بها في حياتنا خير من أخلاق تستمد مقوماتها الأساسية من النصوص الشرعية بحيث تكون إسلامية لا شائبة في إسلاميتها .

ولكن الرجل يرى نسبية الأخلاق ويعود إلي توضيح مهمة الفلسفة فيرى أن مهمتها تتمثل في التحليل ، وبخاصة تحليل قضايا العلم والعمل علي خدمته ، وهذا ما يفهم من قوله " كانت الفلسفة قد لبست خلال عصور طويلة خادمة للدين فقد آن لها أن تخدم سيداً آخر ، هو العلم الذي كُتبت له السيادة في عصرنا الحديث " [1] }[1].

لذلك بدا للرجل أن الفلسفة الوضعية المنطقية غيرت من الفلسفة القديمة ووسائلها وأهدافها معاً، فقد كانت الفلسفة عند اليونان خادمة للأخلاق وفي العصور الوسطي صارت خادمة للدين، وفي العصور الحديثة حينما سيطر العلم علي مجريات الأمور صارت خادمة له ومن هنا أصبح للعلم الفاعلية الفلسفية وهي فاعلية ذهنية لا تتم معرفة بدونها إلا تحليل ما تقوله العلوم وتعليله في مختلف

---

[1] زكى نجيب محمود : حياة الفكر فى العالم الجديد ص ١٢٢ .

ميادينها دون أن تضيف حقيقة إيجابية توضع في صف واحد مع سائر الحقائق العلمية فواضح – إذن – أن مهمة الفيلسوف هي تعقب أقوال العلماء حتى جذورها الأولي ، ليكشف لنا عما تنطوي عليه من أمور لا يوضحها العلماء ولا تشغل بالهم، كأن يبدأ علماء الرياضة من العدد دون أن يسألوا أنفسهم كيف جاء العدد إلي إدراك العقل عند الإنسان، فتكون مهمة الفيلسوف هي أن يحفر تحت العدد ليكشف عن جذوره المضمرة أو المستبطنة فيخرجه لنا.

ونتيجة لذلك تصبح الفلسفة علماً؛ لأنها تنتهج منهج العلم في دقته وتحديده .. وليس المقصود بالفلسفة العلمية أن يشارك الفلاسفة العلماء في أبحاثهم ولا يفوت الرجل التأكيد مراراً علي أننا { لا نريد بالفلسفة العلمية أن نشارك بها العلماء في أبحاثهم، بل هي علمية لأنها تعني أول ما تعني بتحليل قضايا العلوم وقد ظفرت من هذا التحليل بنتائج خطيرة بعيدة المدى وهي كذلك علمية بالتزامها دقة تشبه دقة العلماء في استخدامهم لرموزهم " [1] .

والرجل يريد للفلسفة أن تقوم بتحديد الألفاظ الفلسفية كما تحدد ألفاظ العلم تحديداً لا يدع كلمة بغير مسمى مما يمكن تعقبه بالحواس. ثم تحصر بحثها في مشكلات جزئية محددة. وبذلك تنحصر وظيفة الفيلسوف في النقد والتحليل نقد وسائل

---

[1] زكى نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ١٥٥ .

التعبير وتحليل معاني الألفاظ التي يستخدمها العلماء. وقد تبين لنا ذلك من قـول الرجل { الفلسفة علمية في ثلاثة أمور رئيسة وهي:

أولها: أن تترك العلوم لأصحابها،فلا يجوز للفيلسوف باعتباره فيلسوفاً أن ينافس العالم في علمه.

وثانيهما: وأهمها - أن تنفض يديها من كل المباحث الميتافيزيقية نفضاً.

وثالثهمـــا: هـــو أن يقتصـــر أمـــر الفلســـفة علـــي التحليـــل اللغـــوي وحده " [1]

وبعد أن استعرضنا العاهات المعرفية في فكر الرجل.

نتساءل:-

ما موقف الأنصار والخصوم من فكر الرجل ، وما موقفنا في علاج هذه العاهات المعرفية، هذا هو موضوع الصفحات الآتية:-

الوضعية المنطقية في فلسفة زكي نجيب محمود

بين أنصارها وخصومها

إذا كان الرجل قد عثر علي ضالته في الوضعية المنطقية وسخرها لمعـاداة الدين وهو المسلم الأصل الأرستقراطي المعرفة، ولهذا كان مـن السـهل نقـده

---

[1] زكي نجيب محمود : قشور ولباب ص ١٥٥ .

ونقضه وكانت المعضلة بالنسبة لأنصاره أنه أعلن في وضوح وصراحة أنه يعد النصير الوحيد في الوطن العربي للوضعية المنطقية، التي تدعو كما يري الرجل إلي الاعتماد علي العقل وحده، واعجب ما شئت وما شاءت لك الحقيقة من عجب حين يرى الرجل أن الاعتماد علي العقل وحده يناقض الدين وكأنه إما عقل وإما دين؟! ولا يجتمعان في عقل مفكر!.

لهذه الأسباب كان الرجل من { أشياعها ودعاتها ، لكنه يكاد يكون في الميدان وحيداً ، يتكلم لغير سامع ويكتب لغير قارئ لأن الدعوة إلي العقل الصرف لا تجد في أنفسنا صدى " [1].

ولا يخشى الرجل بعد أن علم بمدى بعده عن المفكرين أن يقتحم المناطق الشريفة – النصوص الشرعية – ويرى أن الوضعية المنطقية همزة الوصل وأداة الربط ورابطة الفكر بين الرجل واعتقاده .

ونتيجة لذلك كانت حملات المعارضين لوضعية الرجل فقد وجهوا إليه الكثير من الانتقادات ، والنقد لا يصدر من فراغ وإنما هو إشارة إلي الأخطاء الفكرية يتأثر بسلبياتها ويوجه الأوضاع الفكرية المغلوطة إلي الاتجاه الصحيح فهو بموجب تسميته سلاح مباشر في معركة الهدم والبناء الفكري ، لذلك فالناقد وإن كان آكلاً

---

[1] زكى نجيب محمود : فلسفة وفن ص ٢٤٨ .

علي مائدة المبدع فهو لا ينقد النص المعلن فقط وإنما ينقد النص الخفي أيضاً والذي ظهر أثره في جعل الرجل من الدين خرافة وقد رافق هذا النقد والدفاع ضمناً أن الوضعية المنطقية لا تصلح لدراسة التراث وتحليله ، ولهذا لم يكن الرجل موفقاً في جعل الوضعية المنطقية أداة للتنوير مما جر عليه سهام النقد بفكره والتجريح لشخصه والازدراء لموقفه. لذا يجب تسليط الضوء علي الانتقادات التي أرادت أن تحمي الفكر والدين من عبث الرجل.

والأستاذ العقاد ينفث في الوضعية المنطقية فكره المتقد ذكاء وبصيرة فيرى { أن العبارات التي سيق بها مذهب الوضعية المنطقية هي من قبيل الأقوال الفارغة " [1] لأنها ليست من قوانين العلم الطبيعي أو من العلم الرياضي ، بل ويرى الأستاذ العقاد أن الإنسان يستطيع أن يجزم بحقيقة لا صورة لها في الخارج علي الإطلاق حيث يمكنه القول بأن العدم مستحيل ولا يمنعه من تقرير ذلك أن المحسوسات خلت من شئ يسمى العدم أو شئ يسمى المستحيل.

وانتقد الأستاذ العقاد الرجل في قوله بنسبية القيم الأخلاقية ورأى أن ذلك مؤداه إلي جعل الأخلاق من قبيل الأقوال الفارغة. وأما الأستاذ الدكتور محمد البهي فيرى أن الرجل لم تتوافر له الحدود الدنيا من الأمانة الفكرية والضمير العلمي

---

[1] عباس محمود العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين ص ١١٨ .

وأن الوضعية المنطقية عند الرجل تخفي وراءها صلة الرجل بالاستعمار الفكري الغربي وقد خصص البهي لنقد الرجل فصلاً كاملاً تحت عنوان الدين خرافة فيذكر فيه أن الرجل قد أراد من خلال كتابه "خرافة الميتافيزيقيا" أن ينال من فكرة الألوهية . بل ويتهجم فيه علي لفظ الجلاله "الله" " جل وعلا " ، وسخر من المؤمنين بالغيب في كتبه فيقول { في بعض كليات الآداب يدرس كتاب الميتافيزيقيا وهو كتاب منقول من الفكر الأوروبي المادي ويهدف إلي بيان أن العبارات الميتافيزيقية – أي التي لا تخبرنا عن أشياء غير محسوسة – عبارات فارغة من المعني – يقصد عالم الغيب – دون أن يستثني من ذلك الدين أو يراعي قدسيته ودون أن يصون اسم الله " جل وعلا " فيبتعد به عن هذا النقاش " [١] .

بل ويذهب الأستاذ البهي إلي أبعد من ذلك فيقول نستطيع القول بأن الرجل في عدم تمييزه بين الحقائق العلمية والحقائق الميتافيزيقية يدلل علي قلة إدراكه للغة العلمية بل يدلل أيضاً على أن " البتر في النقل عن الغير يكاد يكون صفة من صفات التجديد في الفكر الإسلامي الحديث عند هؤلاء المرددين " [٢]

وكان الرجل قد تعرض لحملة عاتية من المفكرين ويمكن مراجعة تفاصيل هذه الحملة في كتاب " مبادئ الفلسفة والأخلاق" للأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريده ، وكتاب " الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه" للأستاذ محمد عثمان وكتاب " دراسات في الفكر الغربي " للأستاذ ماجد فخري.

---

[١] محمد البهى : الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٤٠ .

[٢] المرجع السابق ص ٢٤٣ .

هذه هي قائمة الاتهامات التي يوجهها العلماء إلي الرجل والمفترض إزاء هذه الحملات النقدية أن يتراجع الرجل عن عدائه للدين ، لأن النقود الموجهة إليه من علماء عرفوا بنزاهتهم الفكرية ، فالأستاذ العقاد عبقرية خالصة في الفكر عامة والإسلامي خاصة ، والأستاذ البهي علامة فارقة في الدفاع عن الفكر الإسلامي والعائلة الإسلامية الأساتذة – أبو ريدة ، وماجد فخري ، ومحمد عثمان ... إلخ. هؤلاء أصحاب أصولية إسلامية ورواد في الكتابة الإسلامية والغربية علي اختلاف أشكالها وأنواعها ومستوياتها .

وإزاء هذه الملاحظات الفكرية والتحفظات المنهجية علي الوضعية المنطقية عند الرجل نجد القضية تملأ صدره وعقله وقلبه فلا تدع مكاناً لغيرها ، فيرد علي الأستاذ العقاد ويرى أن العقاد قد عارضه علي أساس جدلي فيه متانة الحجة لكنها حجة مردود عليها ، فإذا كان الأستاذ العقاد يرى أن العبارة التي سيق بها مذهب الوضعية من قبيل الأقوال الفارغة فهذا القول مردود عليه بنظرية الأنماط المنطقية فيقول { حين نحلل العبارات العلمية لنقول عنها آخر الأمر : العبارات العلمية كلها إما عبارات وضعية تشير إلي الواقع المحسوس وإما عبارات تحليلية تنطوي علي تحصيل حاصل كمعادلات الرياضة ، فلا يكون هذا الحكم نفسه خاضعاً لقاعدة نفسه ، بحيث أقول عنه إن هذا الحكم لا هو

من قوانين العلوم الطبيعية ولا هو من تحصيلات الحاصل إذن فهو خلو من المعنى " [١].

ويبقى الاعتراض الثاني للأستاذ العقاد فيرد عليه الرجل بقوله: " إن الجملة التي ذكرها العقاد هي كمعادلات الرياضة فهي تحصيل حاصل وليست مما يصف الواقع وصدقها كامن في أنها تكرر معنى واحداً مرتين ، فالعدم هو مالا يكون ، والمستحيل هو أيضاً مالا يكون ، وبالتالي فترجمة الجملة بعبارة أخرى تصبح مالا يكون لا يكون وهو قول صحيح وليس في هذا ما ينفي ما ذهبت إليه الوضعية المنطقية في تحليلاتها لتقبل ما تقبله وترفض ما ترفضه [٢] "

والاعتراض الأخير للأستاذ العقاد والذي يرفض فيه تصنيف القيم الأخلاقية ضمن الأقوال الميتافيزيقية الفارغة. يقول الرجل في رده علي الأستاذ العقاد " الأمر عندي هو أمر تحليل يكشف عن طبيعتها ، وفرق بعيد بين أن تقول عن شئ ما إنه غير موجود وبين أن تقول إنه موجود ، وحقيقته هي كذا وكذا والذي تزعمه عن أي لفظ يشير إلي قيمة أخلاقية أو جمالية هو أن دلالة ذلك اللفظ ليست جزءاً من الواقع الخارجي " [٣] .

---

[١] زكى نجيب محمود : من زاوية فلسفية ص ٦٥ .

[٢] المرجع السابق ص ٦٥ .

[٣] زكى نجيب محمود : موقف من الميتافيزيقيا ص ل

بل ويرى الرجل أن أخلاق الشخصية العربية تعد محاولة للتوفيق بين التراث العربي الإسلامي والثقافة المعاصرة . وإذا تخلينا عن تلك القيم التي ورثناها فسنتعرض لخطر زوال الشخصية وذوبانها في غيرها فالقيم عند الرجل تصبح " بناء علي إطارنا الثقافي الأصيل هي كسائر الحقائق الروحية أموراً ليست من صنعنا ، إنما هي هناك ، نشخص إليها ببصائرنا كما نشخص بأبصارنا إلي القمر والشمس وعلينا أن نهتدي بهديها " [١]

ومن الملاحظات التي يجب ألا تمر مر الكرام أن الرجل يرى أن الأستاذ العقاد التزم في نقده لفكره الموضوعية الخالصة وعرض القضية بشكل جاد وأن نقوده له كانت موجهة إلي مذهب الوضعية المنطقية وأسسها ولم تكن موجهة إلي شخص الرجل . ولكن رغم تنوع النقود والرؤى الموجهة من الأستاذ العقاد للرجل فقد ظل كما هو واضحاً في رده مخلصاً للوضعية المنطقية وكان من الخطأ ألا يختار الدين.

أما عن رد الرجل علي ما قاله الأستاذ محمد البهي فيرى الرجل في رده أن البهي كان يكتب فلا يفرق بين الفلسفة والدين وأكثر من ذلك يتهم الرجل الأستاذ البهي بعدم قراءة كتبه وأنه اكتفى باسم الكتاب فقط "خرافة الميتافيزيقيا" فيقول

---

[١] زكى نجيب محمود : ثقافنا فى مواجهة العصر ص ٣٤

" كان أوجع نقد وأبشعه هو أن اختلط الأمر علي الناقدين فخلطوا بين فلسفة ودين ، حتى خيل إلي يومئذ أن بعض هؤلاء الناقدين – علي الأقل – لم يقرءوا من الكتاب شيئاً ، وهم إما أن يكونوا قد اكتفوا بقراءة عنوانه – في طبعته الأولى – "خرافة الميتافيزيقيا" قائلين لأنفسهم شيئاً هكذا : الميتافيزيقيا هي ما وراء الطبيعة ، وما وراء الطبيعة هو الغيب ، وأيضاً هو الله سبحانه وتعالى. وإذن فهذه الجوانب الهامة من الإيمان الديني خرافة عند مؤلف هذا الكتاب " [١]

والأستاذ البهي قد وصف الرجل بقلة إدراك اللغة العلمية والبتر في النقل عن الآخرين ، لهذا جاء رد الرجل علي الأستاذ البهي لاذعاً حيناً وجارحاً أحياناً لأن الرجل أحس أن سخرية الأستاذ البهي موجهة إلي شخصه قبل أن توجه إلي الوضعية المنطقية فقال الرجل { رحمكم الله يا أصحاب العقول السليمة ، فقد تولى الحديث عنكم الدكتور محمد البهي وهو أستاذ أجاد " اللغة العلمية " إجادة تامة ، وتنزه عن البتر الذي يقترفه المرددون– طه حسين وعلي عبد الرازق – لما ليس يفقهون " [١] .

وهذا التعبير يشير في النقد إلي الشخصية لا إلي الموضوعية ولكل ما هو محدود وذاتي ، ومن حقنا أن نرفض هذا الأسلوب لأن السباب ليس فكراً ولأن الوضعية

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين ص ٣٠٢ ، وقيم من التراث ص ١١٩ .

[١] زكى نجيب محمود : من زاوية فلسفية ص ٧٠ .

المنطقية عند الرجل وسيلة للهجوم علي الدين فقد شاركت مجموعة من العلمـــاء في الرد علي الرجل وكان من الطبعي أن تختلف أساليب النقد وراؤه لكنها اتفقت جميعاً علي أن الوضعية المنطقية عند الرجل وصمة عار وذنبٌ اقترفـــه يجـــب التراجع عنه يقول الأستاذ الدكتور بدوي " إن رد الفلسفة إلـــي مجـــرد تحليـــل للألفاظ والتعريف لها هو أمر لا يستطيع أن يقر به أحد من الفلاسفة علي طول تاريخها ، ولا يمكن للفيلسوف أن ينزل بمهمة الفلسفة إلي هـــذا الـــدور التافـــه الطفيلي " [١] .

ويؤكد الدكتور محمد ثابت الفندي أن الوضعية المنطقية " تيـــار اللافلســـفة " [٢] وينفي الدكتور ريان " عن الوضعية المنطقية وواضعيها كـــونهم فلاســـفة [٣] ، ويتفق الدكتور طويل معه في قوله " بتفاهة الفلسفة الوضعية المنطقية " [٤]

وكان من أعظم الذين حفروا عن جذور الوضعية المنطقية عند الرجل الأستاذ " كمال عبد اللطيف" والأستاذ "جمال عبد الهادي " والأستاذ "علي حنفي" فقد جعلوا الوضعية المنطقية عند الرجل وصمة عار أو ذنباً اقترفه .

---

[١] عبد الرحمن بدوى : مدخل جديد إلى الفلسفة ص ١٩ .

[٢] محمد ثابت الفندى : مع الفيلسوف ص ٢٧٥ .

[٣] محمد على أبو ريان : الفلسفة ومباحثها ص ١٧٠ .

[٤] توفيق الطويل : أسس الفلسفة ص ٢١٧ .

وأخيراً لقد كانت الوضعية المنطقية عند الرجل من أخطر المفاتيح الخاطئة التي حاول الرجل إدخالها إلي الفكر الإسلامي فلم تقدم حلاً نظرياً لمشاكل مجتمعه بقدر ما كانت نتيجة شغف وتقليد للفكر الغربي في معاداته للدين ، والرجل يؤكد أنه لم يتراجع عن مبادئ الوضعية المنطقية حينما عدل عنوان كتابه من " خرافة الميتافيزيقيا " إلي " موقف من الميتافيزيقيا " . فيقول { الموقف الفكري نفسه ، الذي عرضته في ذلك الكتاب هو ما يزال موقفي إلي هذه الساعة التي أكتب فيها هذه السطور وحتى لو أردت شيئاً من التعديل لما تناولت بالتعديل ركناً من أركانه الأساسية " [١] .

ونتساءل :

هل معنى ذلك أن الرجل اعتزل الدين حباً في الفلسفة ؟

وأن اعتزاله الدين كان اعتزالاً حقيقياً ؟

وهل كانت خاتمة حياته مأساة حقيقية بسبب الوضعية المنطقية؟

كيف يمكن الحصول علي أجوبة دقيقة علي هذه الأسئلة ؟

هذا هو موضوع الصفحات الآتية:

---

[١] زكى نجيب محمود : قصة عقل ص ١١ .

الخاتمة

لابد أن الرجل كان سعيداً غاية السعادة لأنه ينجز بالوضـــعية المنطقيـــة إسهاماً في بناء العقلية العربية وفي مناخ يحتاج إليها. ولكنه لم يجد الانسجام بين الذاتية والموضوعية لأنهما مضفورتان في جديلة واحدة. فقد تجرع الرجل كأس الوضعية المنطقية حتى الثمالة وبعدها وجد نفسه يكتب الفكر الغربي ولا يكتـــب بالفكر الغربي وفرق واضح بين التعبيرين فمثلاً الرجل يتساءل:

{هل يمكن الحكم علي قضية إخبارية بالصدق الضروري اليقيني من مجرد النظر إلي تكوينها كما نفعل في القضية الرياضية ؟

وجوابه عن هذا السؤال بالنفي " [١]

أما " كانط " فليس جوابه { بالإيجاب فحسب بل إنه يسلم بهذا الإيجاب تسليماً كما لو كان الأمر بديهية واضحة بذاتها " [٢]

وقد جاءت فلسفته توضيحاً لذلك والظاهر بل الواضح بل المؤكد أن " كـــانط " أطول من الرجل قامة في هذه القضية وعليه وجد الرجل أن فكره لا يساعد في ترتيب العقل العربي بل هو اغتيال للعقل العربي ، فإعادة ترتيب العقل العربـــي في عصرنا قدمت له مادة مختلفة ورؤى مختلفة وغاية مختلفة عـــن الوضـــعية

---

[١] زكى نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ص ١٧١ .

[٢] كانط : مقدمة لكل ميتافيزيقيا مقبلة يمكن أن تصير علما ص ٧٧ .

المنطقية هي البحث عن نهضة جديدة أو البحث عن مدخل جديد للنهضة الممكنة ، فثقافتنا الإسلامية ليست إستنساخاً لأي ثقافة أخرى ولكن تأصيل الفكر الإسلامي هو المنهج القادر علي ملء الفجوة بين التخلف والتقدم وهذه هي الخطوة الأولى في إقتراح أية نهضة .

والقضية التي نحن بصددها – الوضعية المنطقية عند الرجل – لم تكن الوحيدة المعادية للدين ولكنها تكتسب دلالتها من كونها أشبه بناقوس الخطر الذي ينبغي أن يدق بكل قوة في آذان العلماء والمفكرين في عدم التسرع بالحكم بالتكفير علي الآخرين. ففي مثل هذه الحالة – الوضعية المنطقية في فكر الرجل – نجد أن التجريح أعلى صوتاً. والخوف علي الدين أعلى صوتاً. والتكفير بل القتل سيد التصويت عند الجميع من غير أن نمهل المفكر فرصة للتفكير العميق وهي فضيحة علمية كاملة الأركان لأن الكتاب – خرافة الميتافيزيقيا أو موقف من الميتافيزيقيا – لم يقدم لنا صورة حقيقية دقيقة لفكر الرجل بل قدم لنا فكر الرجل في إحدى اللحظات التاريخية.

ولأننا لا نقول أن المفكر أو الفيلسوف لا ينتهي إلي صواب إلا إذا بدأ علي صواب وأنه إذا أخطأ في البداية لزمه الخطأ بغير أمل في الهداية فالحقيقة العقلية لا تمنع أن تترقى المقابلة بين الأفكار لتصل في النهاية إلي الفكر الصحيح.

فالصراع الفكري في عقل الفيلسوف لابد أن يتخطى مراحل ثلاث قبل أن يكتمل وهذه المراحل هي :-

١- إدراك بالحواس .

٢- إختيار بالعقل .

٣- إستقرار بالقلب.

والمهم في المراحل الثلاثة السابقة هو الإستقرار بالقلب فليس لنا أن نحكم علي تلون فكر الرجل ولكن لنا أن نحكم علي إستقراره.

وتصل النتائج مليئة بالمفارقات وكان من المفاجآت أن أستاذاً جامعياً معروفاً بشجاعته الفكرية { صرح في محاضراته في الدراسات العليا أن الرجل رجع عن وضعيته وتحدث في محاضرة خاصة عن الميتافيزيقيا والأخلاق بإسلامية خالصة بل ووعد الجميع بأنه سوف يؤلف كاتباً بهذا المعنى. وهذه أمانة في عنقي نحو الرجل.

وهي شهادة للتاريخ من العلامة النابه " الأستاذ الدكتور مزروعة "[١] فله من طلابه تحية مقرونة بالإمتنان لعطائه الفذ وموهبته الكبيرة وشجاعته النادرة. وعليه فالمقدمات التي صرح بها الرجل والسياق الذي رسمه لنفسه قاده إلي

---

[١] محمود محمد مزروعة : محاضرات فى الفلسفة للدراسات العليا بكلية أصول الدين بالمنوفية سنة ١٩٨٧ : ١٩٨٨ .

الإسلام وحاول أن تكون حياته الباقية إسلامية لكن الذي هـدد علمـه وفكـره وإلتزامه وسلبه وجوده دون أن يسلبنا موقف الرجل من وضعيته وموقفـه مـن الإسلام كان الموت .

علي أية حال فإن محاضرة الرجل الأخيرة كانت مؤشراً بارزاً علي أن الرجوع إلي الحق ليس مستحيلاً .

وتكتمل متعة كاتب السطور وسعادته بالعثور علـي أوراق منشـورة بجريـدة الأهرام المصرية عبارة عن مقالات أسبوعية للرجل يؤكد فيها ما ذهـب إليـه الأستاذ الدكتور مزروعة في رجوع الرجل عن وضعيته وتمسكه بإسلامه وكأنه أحس وعلم أن الإسلام كان ولايزال وسيظل بمشيئة الله تعالى فكـراً متكـاملاً بمفرده أقوى من الأفكار الأخرى كلها وأن الوضعية المنطقية لا تملك من وسائل المناعة الفلسفية ما يهبها قوة المقاومة والتماسك ، لأنها فكـر بشـري عُرضـة للصواب والخطأ لكن الفكر الإسلامي له ما يعينه علي المواجهة والثبات.

ولعـل هـذا مـا وصـل إليـه الرجـل بعـد أن وازن وحلـل ونـاقش وقارن فلم يتمسك برأيه كما فعل في مواجهته للفاضلين الأستاذ العقاد والـدكتور البهي– وغيرهم – في خرافة الميتافيزيقيا فليس من قبيل المصادفة أن يخلو رأيه خلواً تاماً من التأكيد عن صحة هذا الكتاب يقول الرجل { الجانب الذي كان لـه

في نفسي أثر عميق وحزين فهو الإتهام الذي زعم به أصحابه أن كل ما نشره عما رآه ضوابط للفكر الواضح هو في الحقيقة موجه نحو الدين ، واستشهد أصحاب هذا الإتهام بكتابٍ أصدره صاحبنا سنة ١٩٥٣م وعنوانه "خرافة الميتافيزيقيا" وقد عدل العنوان في الطبعات التالية ليصبح "موقف من الميتافيزيقيا" وكانت خلاصة الإتهام الموجه هي أن مؤلف ذلك الكتاب إنما أراد أن يقول إن الدين وما يدعو إليه من إيمان بالله هو خرافة. نعم لقد إجترأ ناقد أن يوجه إلي صدر صاحبنا – الرجل – ذلك السهم المسموم لعله يصيبه في مقتل فيستريح الناقد ومن يشبهونه " [1] .

ويرى الرجل بعد أربعين سنة من تأليف كتابه – موقف من الميتافيزيقيا – أنه لا يجرأ علي الطعن في المعاد أو العالم الأخروي فيقول { أولاً إن الكتاب مؤلف في موضوع فلسفي صرف وليس الدين فلسفة ولا الفلسفة ديناً .

وثانياً : البحث الذي يسمى في مجال الدراسة الفلسفية ميتافيزيقيا هو بحث فيما يجاوز علوم الطبيعة من فروض ...

ثالثاً : كان الرأي الذي عرضه صاحبنا – الرجل – في كتابه ذلك هو أن فيلسوف الميتافيزيقيا يبدأ تفكيره من مبدأ يضعه هو لنفسه ثم

---

[1] زكى نجيب محمود : حصاد السنين (٢١) فى سبيل الوضوح مقال بجريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٦٠/٢/٢٧ .

يستخلص منه النتائج التي تتولد عنه .....

رابعاً : قدم صاحبنا رأيه في أن الميتافيزيقيا المشروعة حقاً والمفيدة حقاً يجب أن تنصب علي أقوال العلوم في العصر المعين " [١] .

والواضح أن الرجل قد انتهى إلي الفصل التام بين الدين والفلسفة بل والخروج بنتيجة مؤداها أنه لا يمكن التأكيد علي صحة رأيه في كتابه موقف من الميتافيزيقيا يقول الرجل {وسواء أكان هذا الرأي سديداً أم لم يكن فهو علي أي الحالتين لا يتصل بمجال الدين من قريب أو من بعيد " [١] .

ومن الصعب إن لم يكن من المستحيل أن نقول بعد ذلك إن الرجل لايزال علي إيمانه بالوضعية المنطقية. بل نقول إن إتجاه الرجل إلي الفكر الإسلامي في أخرويات حياته يمثل تمزيقاً مستمراً للوضعية المنطقية فقد أصبح الفكر الإسلامي كنقطة النوشادر التي أفاقته أو أيقظته أو إستعادته من الوضعية إلي الإسلام يتضح ذلك من قول الرجل { نلحظ تحالفاً وثيق الصلة بين فاعلية العقل في خطواته المنطقية من جهة ونبضات الوجدان بما يستكن في ضمير الإنسان من إيمان وعقيدة ومن شعور وعاطفة.

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين (٢١) فى سبيل الوضوح مقال بجريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٦٠/٢/٢٧ .

[١] المرجع السابق .

فالجانبـــان مســـتقل أحـــدهما عـــن الآخـــر فـــي طبيعتـــه ووســـيلته ولكنهما كذلك متناصران يشتركان معاً في أهم ما يهم الإنسان من أوجه النشـــاط الفردي والجماعي كل بطريقته وبدوره الذي يؤديه " [١] . ولا يعني ذلك ألا تكون هناك حالات كثيرة في حياة كثير جداً من الناس فرادي ومجتمعين علي ســـواء يتعارض فيها الجانبان فيطغى عقل علي عاطفة ليمحوها ، ذلك أقـــل الحـــالات حدوثاً. أو تطغى فيها عاطفة علي عقل فتمحوه. وذلك هو الأغلب إذا ما اختـــل التآلف بين الجانبين { ولقد عرضنا ... خيوطاً فكرية ثلاثة لازمت صاحبنا إبان الخمسينات ، قبل أن تلتقي الخيوط كلها في رقعة واحدة ، وكانت الخيوط الثلاثة التي عرفناها هي عملية النظرة وأهميتها ، وإقامة الفواصل الفارقة بـــين أوجـــه الحياة الثقافية الواحدة ومختلف مقوماتها .....

وفي كل قسم من هذه الأقسام يظهر لنا التحليل تعاوناً وثيقاً بين جـــانبي العقـــل والوجدان ، مع إستقلالية كل منهما بطبيعته وطريقته في الأداء وذلك – بالطبع– إذا ما كانت الحياة الثقافية سوية متوازنة العناصر تؤمن عاقلة وتعقل مؤمنة " [٢]

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين خيوط ثلاث (٢) مقال بجريدة الأهـــرام المصـــرية بتاريخ ١٩٩٠/٣/٢ م .

[٢] المرجع السابق .

ويجب علي الباحثين أن يعلموا أن الوضعية المنطقية لم تعد الهم الرازح علـــي فكر الرجل بل أصبح الفكر الإسلامي هويته الفكرية وقد دعا الرجل إلـــى هـــذه الهوية الفكرية بعبقرية الفيلسوف ليحقق ذاتيته المبدعة بعد أن كانـــت الوضـــعية المنطقية ألد أعداء فكره . يقول الرجل { لا يجوز لمن يؤمن بعقيدة دينية أن يغير منها ويبدل بحسب الظروف الطارئة ، وإلا فقدت معناها من حيث هي "عقيـــدة" ومن حيث هي "دين" ففي صلب العقيدة يكمن إقرار من حاملها بأنها هي "المبدأ" الذي يترتب عليه الحكم بصحة الصحيح وفساد الفاسد. والعكس هنا غير صحيح ، فليست طوارئ الظروف والأحداث هي التي تفرض نفسها علي "المبدأ" ليتغير معها كلما تغيرت ، والأمر في ذلك شبيه بالأمر في الميزان ومـــا يـــوزن بـــه فالميزان ثابت وموازين الأشياء التي يزنها هي التي تخضع لمعاييره وأما مـــن حيث هي عقيدة دينية فالإلزام بالثبات يزداد ضرورة واحكاما لأن "الدين" بحكـــم تعريفة أمر إلهي فإذا آمنت به لم يعد من حقك أن تغير فيه شـــريطة أن يظـــل للمؤمن المؤهل أن يرى الرأي في فهم النصوص ، لأن اللغة بطبيعتها كثيراً مـــا تفسح المجال لتعدد معانيها.

إذن فليس الجانب الديني من النسيج الثقافي الخاص الذي يتغير أمام الحضـــارة الجديدة الوافدة ليتلائم معها "[١] .

محال بعد هذه الكلمات التي بلغت من الغنى والغزارة حداً لا يدع مجال لسائل أن يسأل ماذا يريد أن يقول الرجل لأن الطريقة التي ركبت بها كلماته تدل علـــي إيمانه بعقيدته فقد تناول الرجل القضية بموضوعية خالصة – إلي أقصـــي حـــد يستطيعه بشر – وهي شرط ضروري للعمل العلمي في شتي ميادينه .

وقد ركز الرجل في تحوله علي ما يمكن تسميته بنسبية الأخلاق وهـــي فكـــرة جاءته بسبب سطوة الفكر الغربي علي حياته ، لأنه كان عمله الفكري وفي نهاية الإضطراب العنيف لتحيزات مصادره للثقافة الوافدة وأساليب التلقي من غيـــره واشتباك الوافد بالأصيل نجد الرجل يقرر في نهاية المطاف { أن مـــن أخـــص خصائص الدين أنه مع الإيمان بالله ، ورسله ، وكتبه واليـــوم الآخـــر ، يمـــد المؤمنين بمجموعة ضخمة من قوانين السلوك الصحيح فهو آناً يأمر بما يجـــب فعله ، وآناً آخر ينهي عما لا يجوز فعله ، وواضح أن تلك القوانين الأخلاقيـــة الضابطة لسلوك المؤمنين بالدين المعين تجئ قبل السلوك ذاته حتى إذا ما أراد

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين (١٢) مطالع النـــور (١) مقـــال بجريـــدة الأهـــرام المصرية بتاريخ ١٩٨٩/١٢/٢٦ م

السالك أن يسلك طريقاً ما وجد بين يديه القانون الأخلاقي الموجه له " [١]

هذه هي كلمات الرجل وهى لا تحتاج إلي تعليق فقد تكلم عن الميتافيزيقيا كلاماً دقيقاً وفسر لنا في موضوعية خالصة سر إعتقاده في صحة ما أخبر به "الباري" جل وعلا.

وأشار إشارة صحيحة وواضحة إلي ضرورة التمسك بالأخلاق الدينية. بعد أن شاكل الفلسفة. وتشكل بها. وشكلها . لذلك تبدو دعوة الرجل إلي الإسلام ليست محاولة وجود حلول وسيطة بين الفكر الغربي والإسلام كما حاول متفلسفة الإسلام التوفيق بين الفلسفة اليونانية والإسلام ولكنها دعوة إلي الإستسلام بشرف في معركة بين الدين والعلمانيين ، استسلام للإسلام وصل إلي حد أن يضع الرجل الضوابط الضرورية لآية صيغة فكرية ، وهي :-

{ أولاً :- أن تنفع الناس في اعتقاد صاحبها .

ثانياً :- أن يرضى عنها الباري "جل وعلا" [٢] }[١].

وتبقى هذه الضوابط دليلاً علي إحساس الرجل بقيمة الإسلام ودليلاً علي إحساسه بالخطورة الحادة للفكر الغربي المعادي.

---

[١] زكى نجيب محمود : حصاد السنين (١٥) المطبوعة الزرقاء (١) مقال بجريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٩٠/١/١٦ م .

[٢] زكى نجيب محمود : رواية وراويها مقالة بجريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٨٨/٢/٢ م.

ولم يكن هذا كلاماً بل مشروعاً للفكر ومنهاجاً للرجل وهو معاكس تماماً لاتجاهه السابق – خرافة الميتافيزيقيا ونسبية الأخلاق – يتضح ذلك من قوله { لا يجوز الحكم علي ثقافة معينة بمعايير ثقافة أخرى " [١].

هكذا تكلم الرجل قبل مأساتنا برحيله وكأنه أراد في أوراق مقالاته بجريدة الأهرام المصرية أن يلملم وصيته في مقالات مكشوفة للجميع سيظل صوتها مدوياً فوق صمت الموت وصراخ من حاول قتله قتلاً فكرياً بتكفيره ؟

وحسبنا أن نشير هنا – فى أسطر يسيرة – إلى ذيوع أفكار الرجل وما أثارته تلك الأفكار من أمواج النقاش بين الأصالة والمعاصرة ، وما تبع ذلك من وصف مفكرى الإسلام الرجلَ بأنه شيطان أراد أن يلهم المصلحين إلى طريق الخلاص .

والحق أن صراع الأيدلوجيات أقدمُ من أفكار الرجل . لكن أفكار الرجل تلك كانت أخطرها على الإطلاق "خرافة الميتافيزيقيا" و " نسبية الأخلاق " .

وبحثنا يكشف جنوح الرجل إلى رسم صورة مزيفة للغرب ترضى الخيال الغربي ، وتلائم مصالحه الدينية ومكبوتاته الجنسية فى آن واحد .

---

[١] زكى نجيب محمود : شئ من روح العصر .

ولقد وصل الأمر بالرجل إلى القول بإمكانات التبادل الثقافي والتفاعل بين الأفكار الإسلامية والأفكار الغربية الوافدة على الرغم من الاختلاف في الأصول " إنكار اليوم الآخر" وآداب السلوك " نسبية الأخلاق "

لذلك أقول :

أولاً : إننا نشكو من عدم جودة كتابات ذلك الرجل الذى فتن بالفكر الغربي .

ثانياً : الرجل لم يقدم الجانب الفكري الإسلامي في المواجهة بين الشرق والغرب .

ثالثا : الرجل اتبع فى الفكر هواه وكان الواجب عليه أن يتبع فى الشرع هداه .

رابعاً : المزية الكبرى التى قد تعد للرجل أنه حاول – فى آخرويات حياته – فى جدية بالغة فهم التراث الإسلامى وقد نجح الفكر الإسلامى فى تغيير تصوراته الغربية .

خامساً : شعر الرجل أن أفكاره الغربية غرس فى غير موضعه؛ وذلك لأنه تجاهل الأصولية الإسلامية والقيم الخلقية العالية .

سادساً : رؤية الأفكار فى تاريخيتها يجعلنا نؤكد أن . حقائق الإيمان ثابتة –

اليوم الآخر والأخلاق – والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائى (زكى) وغيره !!

سابعاً : الرجل أبرع من كتب المقالة الفلسفية والأدبية فى أدبنا المعاصر .

ثامناً : انتقلت كتابات الرجل من طور النشأة إلى طور النضج والاكتمال فى صور متعارضة لا تعدو أن تكون أطواراً فكرية .

وأخيراً : هذه القضية الملحة – الأصالة والمعاصرة – كانت ولا تزال تطرق بابنا طرقاً عنيفاً نحتاج معه إلى شجاعة فكرية وحكمة منطقية كى لا يأخذنا مد العولمة فى تياره ويفقدنا هويتنا الإسلامية وموروثنا الإسلامي الذي أسهم قديماً بنصيب غير قليل فى إقامة هذا البناء الفكرى الذى يزهو به الغرب.

رحم الله زكى نجيب محمود ، وخلص الدين من أدران أفكاره .

والحمد لله أولاً وأخيراً إلى ما انتهى إليه فكر زكى نجيب محمود

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾

سورة النور آية ٤٠

انتهى

المراجع

القرآن الكريم الحديث الشريف

١- أبعاد التجربة الفلسفية تأليف الدكتور ماجد فخرى طبعة دار النهار بيروت سنة ١٩٨٠م .

٢- أسس الفلسفة تأليف الدكتور توفيق الطويل الطبعة الأولى مكتبة النهضة العربية سنة ١٩٦٧م .

٣- الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه تأليف الدكتور محمد عثمان طبعة الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٣م .

٤- الفلسفة ومباحثها تأليف الدكتور محمد أبو ريان طبعة دار المعارف الإسكندرية سنة ١٩٦٧م .

٥- الكوميديا الأرضية تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الثالثة دار الشروق القاهرة سنة ١٩٨٩م .

٦- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الإنجليزية الدكتور فؤاد كامل وآخرون ، راجعها الدكتور زكى نجيب محمود طبعة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة ١٩٨٢م .

٧- المنطق الوضعى فى فلسفة العلوم تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الخامسة مكتبة الأنجلو القاهرة سنة ١٩٨٠م .

٨- تطوير أم تضليل فى العلوم الإنسانية تأليف الدكتور جمال عبد الهادى طبعة دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة سنة ١٩٩٤م .

٩- تيارات الفكر الفلسفى من القرون الوسطى حتى العصر الحديث تأليف أندريه كريسون ترجمة نهاد رضا ، منشورات عويدان ، بيروت سنة ١٩٦١م .

١٠- ثقافتنا فى مواجهة العصر تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الرابعة دار الشروق القاهرة سنة ١٩٨٩م

١١- حصاد السنين تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الأولى دار الشروق القاهرة سنة ١٩٩١م

١٢- حصاد السنين : فى سبيل الوضوح مقالة للأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود . جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٩٠/٢/٢٧م .

١٣- حصاد السنين : خيوط تلاقت مقالة للأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود . جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٩٠/٣/٢م .

١٤- حصاد السنين : مطالع النور مقالة للأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود . جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٨٩/١٢/٢٦م .

١٥- حصاد السنين : المطبوعة الزرقاء مقالة للأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود . جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٩٠/١/١٦م .

١٦- دراسات فى الفكر العربى تأليف الدكتور ماجد فخرى طبعة دار النهار بيروت سنة ١٩٧٠م .

١٧- شروق من الغرب تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الثانية دار الشروق سنة ١٩٨٣م .

١٨- طبيعة الحضور الفلسفى الغربى تأليف الدكتور كمال عبد اللطيف الطبعة الثالثة بيروت سنة ١٩٨٧م .

١٩- عقائد المفكرين فى القرن العشرين تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد طبعة دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٤م .

٢٠- فلسفة وفن تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود طبعة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م .

٢١- فى حياتنا الثقافية تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الأولى دار الشروق سنة ١٩٨٧م .

٢٢- قشور ولباب تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود طبعة دار الشروق سنة ١٩٨٨م .

٢٣- قصة عقل تأليف، الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الثانية دار الشروق سنة ١٩٨٨م .

٢٤- قصة نفس تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الثانية دار الشروق سنة ١٩٨٨م .

٢٥- قيم من التراث تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الثانية دار الشروق سنة ١٩٨٩م .

٢٦- مبادئ الفلسفة والأخلاق تأليف الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة طبعة الكويت سنة ١٩٩٦م .

٢٧- محاضرات فى الفلسفة لطلاب الدراسات العليا السنة الثانية للأستاذ الدكتور محمود محمد مزروعة كلية أصول الدين بالمنوفية سنة ١٩٨٨م .

٢٨- مدخل جديد الى الفلسفة تأليف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة الكويت سنة ١٩٧٥م .

٢٩- مع الفيلسوف تأليف الأستاذ محمد ثابت الفندى طبعة دار النهضة بيروت سنة ١٩٧٤م .

٣٠- مقدمة لكل ميتافيزيقيا مقبله يمكن أن تصير علماً تأليف ايمانويل كانط ، ترجمة الدكتورة نازلى إسماعيل مراجعة الدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧م .

٣١- مكانة العقل عند الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود تأليف الدكتور على حنفى محمود مجلة كلية الآداب القاهرة سنة ١٩٩٤م .

٣٢- من زاوية فلسفية تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود طبعة دار الشروق سنة ١٩٨٣م .

٣٣- موقف من الميتافيزيقيا تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الثالثة دار الشروق سنة ١٩٨٢م .

٣٤- نحو فلسفة علمية تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود الطبعة الثانية الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٠م .

٣٥- نشأة الفلسفة العلمية ، تأليف هانز رشنباخ ترجمة الدكتور فـؤاد زكريـا طبعة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٨٦م .

٣٦- نقد العقل الوضعى ، دراسة فى الأزمة المنهجية لفكر الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود تأليف الأستاذ الدكتور عاطف العراقى ، تقديم الـدكتور إبـراهيم فتحى ، الطبعة الأولى دار الطليعة بيروت سنة ١٩٨٠م .

٣٧- وجهة نظر تأليف الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود طبعة مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٧م .